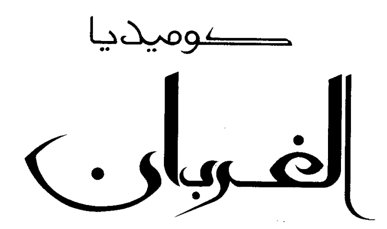
محمد عنانى





الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الغلاف والإخراج الفنى
ســـعد عبدالوهاب

الغربان

مقدمـــة

هذه هى المسرحيةُ الأولى التى أكتبها نظماً ، ولا أقول شعراً فما أنا بشاعر ، وإن كنت أعيش الشعر ليلى ونهارى ! وكثيراً ما عجبت لنفسى لِـمَ لا أحترفُ كتابة الشعر مثل الكثيرين الذين يجيدون النظم ويعرفون متعة إيقاع اللفظ المنغوم ؟ وَلِـمَ لَـمْ أحترفه وقد بدأت حياتى الأدبية ناظماً دؤوباً ـ أقول الشعر حيناً وأخفق أحياناً ـ حتى تخطيت فجر الشباب ؟ ربما لم يكن تصديرُ مسرحيةٍ كهذه المكانَ المناسبَ للإجابة على هذا السؤال ولكنه على كل حال مجال التعريف بنوع المسرحية ـ وما دامت قد كُتِبَتْ بالنظم ، وربما كان فيها شعر ، فلا بد أن أوضح بإيجاز تصورى للجوامع والفوارق بين كتابة المسرح الذى اخْتَرْتُه وكتابةِ الشعر الذى هَجَرْتُه ، لعله يجد إقتراناً لم يكن يراه فيما بينهما ، ولعله يعيد النظر فى التقسيمات الشكلية للأنواع الأدبية .

من أشهر النظريات الأدبية أن أحد الفوارق المهمة بين الشعر والمسرح يتصل بنظرة الفنان إلى الوجود : فالفنان الذى يرى الحياة فى إطار اصطراع عناصر ما تفتأ تصطرع ـ نجتمع لتفترق وتفترق لتجتمع ـ يميل إلى المسرح ، والفنان الذى تتميز رؤيته فى جوهرها

بالاستعارة أى برؤية الأشياء والأحياء من خلال بعضها البعض ـ يميل إلى الشعر . أما الاصطراع فيعنى رؤية النوازع الحيوية فى الكون فى حالة حركة دائمة فكل موجود له إرادة وتفرد ، وهو يحيا أيا كان موقعه على سلم الموجودات ـ بفضل هذه الإرادة وهذا التفرد ! وتتفاوت طبيعة هذه الموجودات لا بسبب كيانها المادى ولكن لتفاوت حظها من هذه النوازع . (وأرجو ألا يفهم القارىء أن المعنِيَّ بالإرادة هنا هو ما يعنيه بها شوبنهاور أو أن المعنِيَّ بالنوازع هو ما يعنيه برجسون بالدوافع الحيوية ، رغم استخدام هذه المصطلحات الفلسفية ، فما من سبيل إلى إيضاح الفكرة دون المصطلح) وأما الاستعارة فتعنى تَخَطِّى الظواهر التى تحجب عن أبصارنا رؤية حقائق الحياة التى تدب فى كل الموجودات ـ فالشاعر يرى طاقات البشر فى الشجر ، ويرى فى الإنسان النماء والانتماء ، ويرى فى العمق ارتفاعاً وفى السمو عمقاً ، ويلتقى فى خياله من ينتجع الكلأ ومن يركب البحر ، فهو يقهر الظاهر بحثاً عن الباطن ، فإن رأى الباطن اختلفت صورة الظاهر ! الاستعارة إذن ـ أو ما كان القدماء يسمونه المجاز ـ مذهب فى الرؤية لا يقرن الشىء بما يشبهه بل بما لا يبدو أنه يشبهه ، وقد تنبع القصيدة من لحظة مكثفة من لحظات الرؤى الاستعارية وقد لا تتضمن إستعارة بلاغية (أى لفظية) واحدة ، وقد تتضمن كلمة واحدة تفصح عن هذه الرؤية أو اللحظة ، فإذا بسائر ألوان المجاز فى القصيدة تدور فى فلكها وتعمل على تعميقها .

ومن هنا جاءت صعوبة الشعر وطول سُلَّمِه ، فإذا كان فى ظاهره تجربة لفظية فهو فى باطنه تجربة فى الرؤية والشعور ! ونحن نعيش حياتنا بهذه التجارب التى ما تزال تتغير ألوانها وضروبها ، وربما وقف القارىء عند بيت من الشعر فأعجبه لدقة التصوير أو لبراعة الصياغة ، وربما ذكره فى يومه ونسيه فى غده ، ولكن أنَّى له أن ينسى رؤيا « اقتنصها » الشاعر من أعماق وجدانه فأوضحت له ما كان يريد أن يعرف عن نفسه وعن وجوده ! ولا أبالغ إذن إذا قلتُ إنّ فى الاستعارة جانباً معرفياً يرقى بها إلى مصاف الفكر الخاص ، وأنها عندما يبدعها شاعر أصيل (وما الشاعر الأصيل إلا قناصُ رؤى) تضىء لنا ما أظلم فى جوانب النفس والعقل .

إننا نذكر أبيات بشار الرقيقة ، مثلما نذكر أبيات المتنبى البارعة ، أو أبيات امرىء القيس الجزلة ، أو أبيات المعرى الهادئة ، فنطرب لهذا ولذاك ولكن الذى يبقى فى النفس هو رؤاهم الفريدة ـ وربما تنبع من كلمة تضفى على القصيدة كما قلت معنى استعارياً بالغ العمق ـ أنظر قول بشار :

جـــــاءت إلــىّ تَسُــومُنى بُرْدَ الشَّبَابِ وقد طَوَيْتُه

ربما ركزنا فى دراستنا لهذا البيت على الظاهر ـ أى على براعة الشاعر فى رسم صورة انطواء الشباب وتشبيه العمر بالبردة ـ فإذا تعمقناها وجدنا حُزْناً فى ثناياه فرحٌ خافتٌ لا يعرفه إلا من تخطى سن الشباب ، فالطَّىُّ هنا يتضمن عنصراً قَدَرياً ويوحى بالحتم الذى يعرفه من يعرف الآية ﴿ يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبْ ﴾ ـ ويعرف ما وراءها أيضاً ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ ـ أى أن الصورة التى قد توحى فى ظاهرها بمراودة الفتاة الرجل عن نفسه (وصورة يوسف الصديق قائمة أبداً فى الأذهان) تحمل فى « طياتها » سراً آخر أكبر وأعمق ، فالطّىُّ يورث إحساساً بمجرى الحياة أى وعياً بالزمن ، وهو الزمن الذى نشكوه ثم نشتاقه ، ونسفكه ثم نبكيه ! إنه العمر الذى لا نعرف معناه إلا عندما يغيب عنا ـ وهذه هى المفارقة التى « يقتنصها » الشاعر هنا وتجسدها صورة البردة ما بين بسطها وطيها ، فمجىء الحسناء يبسط البردة فى الحقيقة لأنه يعيد إلى الشاعر وعيه بوجوده فى الزمن !

عند المفارقة يلتقى المسرح بالشعر ، فاصطراع الإرادات وتقابل النوازع يؤدى إلى اشتباك الأضداد وتلاقى الأشياء على اختلافها ، وهذه هى رؤى الشاعر الأصيل ! أو قل إن هذا لونٌ من الشاعرية الأصيلة التى تغيب عنا فى خضم الألوان الأخرى ـ فنحن نذكر قول شوقى فى إفتتاح همزيته عن كبار الحوادث فى وادى النيل :

هَمَّتِ الفُلْكُ واحتواها الماءُ وَحَوَاهَا بِمَنْ تُقِلُّ الرَّجَاءُ !

ونحن نُعجبُ به للبراعة البيانية الواضحة ، مثلما نُعْجَبُ بقول شكسبير :

إن كان لَدَىَّ سفائنُ تركبُ مَتْنَ البَحْر
لَتَعَلَّقَ قَلْبِى بالأملِ السَّابحِ فى قَلْبِ المَاءْ !

أى أن قوة الاستعارة هنا تتضمن رؤية لا تتطلب إجهاد النفس أو العقل فى المعاناة الشعورية ، ولكنها تخرج فى قالب يعتمد على الحيل البلاغية التقليدية ـ فاحتواء الماء للسفينة يرجع أصداءه احتواءُ الرَّجَاءِ لها ، وهو يُذَكِّرنا بالأملِ السابح وسط الماء بينما تُرْجِعُ عبارةُ قلبِ الماءِ قَلْبَ المتحدث ! وكذاك نجد فى شوقى لونَ الشعر الذى حفلت به دواوينُ القدماء وهو الذى يقترب من شكل الحكمة أو المثل السائر أو الإبجرام ـ « وقد يشفى العضالُ من العضال » ـ ونجده فى شكسبير « فى السَّعْىِ مُتْعَةٌ تفوقُ مُتْعَةَ الظَّفَرْ ! » ـ كما نجد ألواناً أخرى هنا وهناك ـ من الموجز المحكم إلى ذلك اللون الذى

تنبسط فيه الصورة حتى لتحاكى الصور الملحمية التى اشتهر بها القدماء (وتميز بها ملتون) وهاك صورة أخرى من شيكسبير :

أنظرْ إلى السفينةِ التى تَزَيَّنَتْ عَشِيَّةَ الإقلاع
تشتاق لِلِّريحِ اللَّعُوبِ للأَحْضَانِ والعِنَاقْ
تنسابُ مِنْ مرفَئِها خفاقةَ الشِّراع
تَـخْتَالُ مثل يافعٍ يمضى به الرَّجَاء !
وانظر إليها عندما تعود مثل ضالٍ عاقْ
قُلوعُها مُمَزَّقَةْ
ضُلُوعُها مُحَطَّمَةْ ..
نَحيفةٌ .. مَثْقُوبةٌ .. أَذَلَّتْها المَشَاقّ !

(جميع أبيات شيكسبير من مسرحية **تاجر البندقية** – ترجمة المؤلف)

ولا أظن أن ثمة ما يدعو إلى إيراد النماذج التى تمثل شتى ألوان الصور التى تحفل بها ضروب الشعر الأخرى ، فالذى يعنينى هنا هو تأكيد القوة العاتية التى يكتسبها الشعر عندما يستند إلى رؤى أصيلة ، ولا أظن أن القارىء الملم بتراثنا الشعرى سوف يجد صعوبة فى العثور عليها ، فهى تمتد عبر القرون حتى لتفيض بها دواوين شعرائنا المحدثين – وهى الرؤى التى تتضمن فى باطنها ذلك الاصطراع بين النوازع الذى يسمونه الصراع الدرامى لأنه يميز كل عمل درامى .

إن قصيدة « سقوط الوهم » مثلاً لفاروق شوشة تحمل رؤيا أصيلة إذ تجمع بين هذه النوازع المصطرعة التى تنتهى إلى ذروة ما أحسب إلا أنها درامية بكل معنى الكلمة . فالقصيدة منسوجة فى قسمها الأول من التضاد العنيف بين صور النور والظلام التى تنبع من أعماق إحساس الشاعر بما يمثله الوهم ! إنها مفارقة أصيلة لأنها تقدم ما يمكن أن نطلق عليه الأمل المحال ، أو الرجاء اليائس ! ففى وجدان الشاعر يتمثل الوهم فى صور غريبة شائهة مثل الصور التى رسمها ملتون للعماء – للموت والخطيئة حين يواجهان إبليس (ولفظ السقوط يوحى دون شك بإبليس !) فهو ظل وهو كابوس وهو منجل وهو جبل وهوتيه !

ولكنه قبل كل ذلك قدر لانجاء منه ـ وهذه هى الصورة الأساسية التى تلقى بظلالها على القصيدة كلها :

هل آن سقوطك يا ظل الوهم الشائه
تتمدد خلف عيون الليل المنطفئة
تُقْعِى خلف الأبواب وملء رؤانا المهترئة
وتطل على الأنفاس ثقيل الوطأة والسيماء
كاللعنة أبداً لا ترحل
كالقدر الجاثم .. كالمنجل !

إن صورة الظل « المتمدد خلف عيون الليل المنطفئة » لا تخرج إلا من إحساس أصيل بكيان ذلك الشيطان الذى لا شكل له ، والذى ربما اتخذ عدداً من الأشكال ، ولكنه يثبت وجوده وكيانه فى فِعْله (والدراما بعدُ فِعْل) وهو دائماً ما يختبىء لأنه لا يقبل النور ولا يقبله النور ! فإذا انتهى الشاعر من « اقتناص » هذه الرؤية وجدنا أن الأسئلة البليغة (أى الإنكارية) التى تتوالى فى الجزء الثانى من القصيدة تؤكد لنا لحظة الحيرة ـ ولحظة الأمل المحال أو الرجاء اليائس ـ وهى لحظة المفارقة الدرامية التى تُطْلِعُنا على ما لم نكن ندريه . فإذا نحن نسأل نفس الأسئلة ، وَنَحَارُ نفس الحيرة !

والغريب أننا كلما أنعمنا النظر فى صور « سقوط الوهم » إزددنا يقيناً بأنه لن يسقط ! فهو ساقط بمعنى أنه مذموم مدحور ـ أى مُدَانٌ مثل إبليس ـ ولكنه قائمٌ وذو تأثير وله أتباعه ـ أيضاً مثل إبليس ! أما المفارقةُ الدراميةُ هنا فردُّها إلى الموقف الدرامى الأصيل الذى تتضمنه صورة إبليس بين البشر : فهم يعرفون أنه الشر ويمدون أيديهم إليه ! وأسئلة الشاعر فى الجزء الثانى من القصيدة بسيطة فى ظاهرة بالغة الرمزية فى دلالاتها : فالبراءة التى ينشد العودة إليها هى ـ فى تراث الأدب العالمى ـ مرحلة ما قبل الشر ! أى المرحلة التى يُفْتَرَضُ أن الإنسان عاشها قبل « تعامله » مع إبليس ! وهى مرحلةٌ مُحَالَةٌ لأن الإنسان منذ هبط إلى الأرض وهو يرافق الشر ويعيش معه : « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ! وكذلك القراءة ! فالقراءة سلاحٌ لدحر الوهم ـ والعودة للقراءة عودة لمرحلة البراءة فى الظاهر ولكنها فى الواقع وسيلة لقهر الوهم بسلاح الحقيقة الذى يمكن أن يصل إليه المرء من خلال التجربة وبعد سنوات النضج ـ كما يقول وردزورث ! ومن هنا نجد أن

الاصطراع قائم فى الأسئلة التى تبدو يسيرة مباشرة ، والتى تخدعنا بهذا اليسر أيما خداع !

وذكر الاصطراع معناه إثبات خصيصة أولى من خصائص الدراما ، وإذا كانت هذه الخصيصة بارزة فى كل شعر عظيم ، فالدراما الأصيلةُ ـ لا شك ـ تتسم أيضاً بخصائص الشعر الصادق حين يتسع مدلول الحدث ليصبح نوعاً من المجاز المجسد ـ أى مجاز الفعل والحركة ـ مجاز الموقف والصراع ـ لا مجاز اللحظة والتأمل ! فصورة الحاكم بأمر الله التى يرسمها سمير سرحان فى « **ست الملك** » صورة إستعارية لكل إنسان يواجه ببراءته عالم التجربة ، ويخرج بطهره ونقائه من عالم خاص ـ عالم الفكر والتأمل ـ إلى عالم مادى عام ـ عالم الفعل والحركة ! والمسرحية ليست منظومة ، بل مكتوبة بنثر يجمع بين الفصحى والعامية ، ومع ذلك فإن مجاز الفعل فيها يرقى بها إلى مستوى الشعر الرفيع ، ونرى فى لحظة النهاية ـ لحظة إقبال البطل على الموت راضياً ـ تجسيداً ليأس الرجاء والأمل المحال !

إن الشاعر الذى يصل إلى لحظة الإدراك الشعرى فى رؤياه للوهم يتحول هنا إلى شخصية درامية لا تستطيع أن تدرك الفارق بين عالم البراءة الذى تعيش فيه وعالم الواقع ـ عالم التجربة ـ الذى يغص بالأبالسة ! وهل يمثل « الدرزى » ـ تلك الشخصية التى بالغ سمير سرحان فى رسمها لإضفاء بعد أسطورى (إستعارى) عليها ، إلا الشيطان فى ذلك العالم الذى تحكمه قوانين التجربة (أى إدراك وجود الشر وقبوله) ولا مكان فيه للحالمين الأبرياء مثل الحاكم بأمرالله ؟ إن تأملات الحاكم تضعه على مستوى إستعارى يقترب به من الرؤية الشاعرة التى أبدعها فاروق شوشه ـ فكلاهما يتساءل نفس الأسئلة اليسيرة فى مظهرها المحالة فى مخبرها !

إن للشعر ضروباً منوعة ، وأحدها هو الدراما ذات الدلالات الإستعارية ، وللدراما ضروب منوعة أحدها هو الشعر ذو الرؤى القائمة على اصطراع النوازع ! والفيصل إذن ليس الشكل ولكنه جوهر الرؤية الذى قد ينساب هادئاً :

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أَدِيمَ الأَرْضِ إلاَّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ !

ولكنه على هدوئه يصعقك بحقيقة تعرفها حق المعرفة ! فآدم من أديم الأرض (واسم آدم مشتق من الأدم) وأديم الأرض يبتلع أبناء آدم ! ولكن الصورة قاهرة هنا بسبب استخدام أبى العلاء لصورة ابن آدم الذى يسير على أجساد بنى آدم ! وقد تكون الصورة زاعقة صارخة ـ مثل قول عمر أبى ريشة يصف الثرى العربى الذى ينفق أمواله على الملذات الحسِّيةِ ـ ومَطْلَعُها .

صَاحَ يا هِنْدُ فَرَفَّ الطِّيبُ   واشْتَعَل الكأسُ وضَجَّ المَضْجَعُ
مُنْتَهى دُنْيَاهُ نَهْدٌ شَرِسٌ   وَفَمٌ عَذْبٌ وَجِيدٌ أَتْلَعُ
بَدَوِىٌّ أَوْرَقَ الصَّخْرُ لَهُ   وَجَرى بالسَّلْسَبِيلِ البَلْقَعُ !

ثم يُنْهيها بسخريةٍ لاذِعَة :

هَكَذَا تُقْتَحَمُ القُدْسُ عَلَى غَاصِبِيهَا هَكَذَا تُسْتَرْجَعُ !

ولكنها فى كل حال تتضمن المفارقة التى تمثل ذلك الاصطراع الذى تحدثت عنه ! وهل يجهل أحد المشهد الختامى فى مسرحية « الخال فانيا » (لأنطون تشيكوف) حين تُعَزّى سونيا خَالَها فى موقفٍ يجمع بين أخص خصائص الدراما وهى التورية الساخرة وأخص خصائص الشعر وهو الصورة الحية متعددة الظلال والألوان ؟

ولقد تخطى المسرح الحديث ما كان الكلاسيكيون يحتفلون به أيما احتفال ألا وهو التقسيم الصارم للأنواع الأدبية ـ وليس بأهونها شأناً الفصلُ بين أنواع الشعر ! فالشعر الدرامى هو دراما شعرية والمسرح الذى يزخر بالدلالة الاستعارية يأخذ من الشعر الكثيرـ بل كثيراً ما وجدنا بعض السمات التى ارتبطت بألوان أخرى من الشعر (الغنائى والقصصى والملحمى) تتسرب إلى المسرح ـ فبعض كتاب المسرح ينسجون مشاهد ترقى فى رهافتها وإحكامها إلى مستوى الشعر الرمزى العميق ، وإن كانت مكتوبة بالنثر ؛ وبعضهم يستمدون من خصائص الملحمة ما يضفى على شخصياتهم أبعاداً أسطورية تجعلها إستعارية الدلالة ، وبعضهم يجعل حواره رقيقاً متناغماً كأنه قصيدة غنائية رقيقة ناعمة !

لقد أصبح الشعر الحديث يلتقى مع المسرح الحديث فى كل ثَنِيَّة ، على إختلاف الوسيلة اللغوية ، بعد أن كانا يجتمعان فى الماضى على الوسيلة والنظرة والتحقيق ! وإذا كُنا نَلْجَأُ فى مسرحنا إلى النظم ، (وقد ذكرت فى كتابٍ لى بعض أسباب إحياءِ المسرح الشعرى لدينا) فإنما ينبع ذلك من إدراكنا أن الشاعرية لابد لها أحياناً من النَّغَمِ الدَّفَّاقْ ! ولذلك فإن أقصى ما أستطيع أن أحكم به على المسرحية التى أقدمها اليوم للقارىء هو أنها مكتوبة بالنظم ، وأما الشعر فربما كان موجوداً فى بعض الشخصيات أو المشاهد ، وربما لم يكن موجوداً ... فالناقد المحايد هو وحده القادر على إصدار مثل هذا الحكم !

أما عن فكرة المسرحية ـ إذا كان لكل مسرحية فكرة ـ فقد نبعت من تأمل بعض

شخصياتى التى وجدتها فيمن أعرفهم من المصريين ، أى أنها ابنة هذا الزمان لا ابنة التاريخ ! وربما يكون فى هذا جوهر ما أريد أن أقوله (أو ما يمكن أن أقوله) عن الفكرة أو الدلالة ! فسوف يلاحظ القارىء إشارات إلى المقريزى ، فى غضون النص نفسه فالمقريزى هو مصدرى الأول ولا شك ، ولكننى انتفعت أيـّمَا انتفاعٍ بابن إياس ، وكان كتابه **بدائع الزهور فى وقائع الدهور** أكثر من مرشد وهاد فى هذه الصحراء التى أضرب فيها – صحراء التاريخ الممتدة بلا نهاية ! وإذا كنت أرجو أن يكون فى المسرحية بعض شعر فإنما أرجو أن يكون ذلك فى الرؤية العامة لا فى الأداة والوسيلة ، فالرؤية لا تقوم على تاريخ الملوك – ويعلم الله كم أجهدت نفسى فى قراءة التاريخ « الرسمى » – تاريخ الحكام والملوك (أو ما يسمى بالتاريخ السياسى) فما عثرت على ضالتى ولا رويت غُـلّتى ! وقد كانت المسرحية قد اتخذت شكلاً يختلف كل الإختلاف عندما بدأت العمل الجاد فيها فى صيف ١٩٨٤ بقراءة تاريخ المستنصر – وهو ما عثرت عليه بشق النفس فى بطون كتب التاريخ التى تعالج الفترة العامة التى عاش فيها إذ كنت أحاول إتباع الخيط الذى ألقاه الدكتور عبد الرحمن زكى عن الشدة الكبرى أو العظمى فى عصر المستنصر – ويبدو أنها فترة مازالت محوطة بالألغاز والأسرار !

كان شكل المسرحية الأول يتناول المجاعة لا على مستوى الدولة ولكن على مستوى الناس – وكان مصدرى الأول هو كتابات المؤرخين ، وهى غير متوازنة ، فالمؤرخون يؤرخون للدولة لا للناس ! ومن ثم وجدتنى فى آخر ذلك الصيف أبتعد عن تصورى الأول تماماً – وهو دراسة المجاعة كما صورها المقريزى – والاعتماد على بعض الفقرات التى استوقفتنى فى بعض الكتب لكى أصحح بعض مفهوماتى عن تاريخنا القديم . وفى خضم إهتمامى بالمجاعة برزت قصة « مايسة » الفتاة التى يبهرها السلطان وتحلم بالعيش فى القصور فلا تستطيع أن تقاوم إغراء الزواج من الوالى لتفاجأ بأنها جارية من جوارى القصر ، وبأن الحريم من حولها من مقتنيات الحاكم ! برزت « مايسة » (أو مائسة) وشُـغِـلْـتُ بها أيما إنشغال ، فهى نموذج معاصر وإن كانت الأموال قد حلت فى هذا العصر محل الجاه والسلطان ! وقد برزت مايسة لتزاحم الأبطال الأصليين – أهل القرية التى تبعد قليلاً عن القاهرة – ثم كانت لحظة إكتمال قصتها ذات مساء فى روما وقد كنت أقص طرفاً من أحداث المسرحية لصديق عزيز هو الأستاذ إسماعيل أبو زيد الذى تخصص فى الفلسفة لا فى التاريخ ! وكانت تلك بداية المسرحية فى الحقيقة – فهذا ما تفعله المجاعة فى الناس ، وهذا هو ما يفعله حكام الناس فى الناس ! إن مايسة مصرية مثل كثيرات ممن أعرف – وهى تعيش فى عصر يختلف عن عصرنا ، لكنه يلقى بظلال كئيبة موحشة عليه ، ولذلك فإن

مايسة القديمة تعيش فى كثيرات من بنات القرن العشرين ـ أولئك اللاتى يبعن أحلامهن عندما تبرق بوارق الغنى فى أفق الفاقة والضيق ، ولا يكتشفن إلا بعد سنوات الذل والهوان ـ ذلك السراب الذى يحسبه الظمآن ماءً !

ووسط إنشغالى بقصة مايسة ـ توقفت عند الفقرة التالية من كتاب المقريزى « **إغاثة الأمة بكشف الغمة** » :

> ثم وقع غلاء فى خلافة المستنصر .. فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة .. وكان فى كل سوق من أسواق مصر ، على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم . والأخباز بمصر فى أزمنة المساغب متى بردت لم يرجع منها شىء لكثرة ما يغش بها . وكان لعريف الخبازين دكان يبيع الخبز بها . ومحاذيها دكان آخر لصعلوك يبيع الخبز بها أيضاً . وسعره يومئذ أربعة أرطال بدرهم وثمن . فرأى الصعلوك أن خبزه قد كاد يبرد فأشفق من كساده ، فنادى عليه أربعة أرطال بدرهم ، ليرغب الناس فيه . فانثال الناس عليه حتى بيع كله لتسامحه . وبقى خبز العريف كاسداً . فحنق العريف لذلك ، ووكل به عونين من الحسبة أغرماه عشرة دراهم . فلما مر قاضى القضاة أبو محمد اليازورى إلى الجامع استغاث به . فأحضر المحتسب وأنكر عليه ما فعل بالرجل . فذكر المحتسب أن العادة جارية باستخدام عرفاء فى الأسواق على أرباب البضائع ، ويقبل قولهم فيما يذكرونه . فحضر عريف الخبازين بسوق كذا واستدعى عونين من الحسبة . فوقع الظن أنه أنكر شيئاً اقتضى ذلك . فاحضر الوزير الخباز وأنكر عليه ما فعله وأمر بصرفه عن العرافة . ودفع إلى الصعلوك ثلاثين رباعياً من الذهب ، فكاد عقله يختلط من الفرح . ثم عاد الصعلوك إلى حانوته ، فإذا عجنته قد خبزت فنادى عليها خمسة أرطال بدرهم . فمال الزبون إليه ، وخاف مَنْ سواه من الخبازين برد أخبازهم فباعوا كبيعه . فنادى ستة أرطال بدرهم ، فأدنهم الضرورة إلى إتباعه . فلما رأى أتباعهم له قصد نكاية العريف وغيظه بما يرخص من سعر الخبز . فأقبل يزيد رطلاً رطلاً والخبازون يتبعونه فى بيعه خوفاً من البوار حتى بلغ النداء عشرة أرطال بدرهم . وانتشر ذلك فى البلد جميعه ، وتسامع الناس به ، فتسارعوا إليه . فلم يخرج قاضى القضاة من الجامع إلا والخبز فى جميع البلدة عشرة أرطال بدرهم .. فلما رجع اليازورى إلى القاهرة وداره بها ، مثل بحضرة السلطان وعرفه ما من الله به فى يومه من إرخاص السعر وتوفر الناس على الدعاء له ، وأن الله جَلَّتْ قدرته فعل ذلك وحَلَّ أسعارَهم بحسن نيته فى عبيده ورعيته ، وأن ذلك بغير موجب ولا فاعل له ، بل بلطفه تعالى ...

وقد أوردتها هنا كاملة حتى أعفى القارىء من تعليقات وتفسيرات لن تصل إلى بلاغة هذه الواقعة غير الفريدة فى تاريخ مصر ! فالواضح أن سبب إنفراج الأزمة كما نقول اليوم لم يكن بالغموض الذى صوره الوزير (الذى يشار إليه أيضاً باسم قاضى القضاة لأنه كان قد ولى القضاء أيضاً) ـ ولا هو يعود إلى حسن نية الخليفة « وبغير موجب ولا فاعل له » ! وتؤيدها قصة أخرى أوردها من المقريزى أيضاً :

.. عَظُمَ الأمر وكَظَّ الناس الجوع فاجتمعوا بين القصرين ، واستغاثوا بالحاكم (بأمر الله) فى أن ينظر لهم ، وسألوه أن لا يهمل أمرهم ، فركب حماره وخرج من باب البحر ، ووقف وقال : « أنا ماض إلى جامع راشدة ، فأقسم بالله لئن عدت فوجدت فى الطريق موضعاً يطؤه حمارى مكشوفاً من الغلة لَأَضْرِبَنَّ رقبة كل من يقال لى إن عنده شيئاً منها ولأحرقنَّ داره وأنهبنَّ ماله » ثم توجه وتأخر إلى آخر النهار فما بقى أحد من أهل مصر والقاهرة وعنده غلة حتى حملها من بيته ومنزله وشونها فى الطرقات . وبلغت أجرة الحمار فى حمل النقلة الواحدة ديناراً . فامتلأت عيون الناس وشبعت نفوسهم . وأمر الحاكم بما يُحتاج إليه فى كل يوم ففرضه على أرباب الغَلاَّت بالنسيئة وخَيَّرهم فى أن يبيعوا بالسعر الذى يقرره بما فيه الفائدة المحتملة لهم ، وبين أن يمتنعوا فيختم على غلانهم ولا يمكنهم من بيع شىء منها إلى حين دخول الغلة الجديدة . فاستجابوا لقوله وأطاعوا أمره ، وانْحَلَّ السعر وارتفع الضرر ولله عاقبةُ الأمور .

ولا شك أن القارىء ـ سوف يستهويه « الموقف » الذى يصوره المقريزى ، وربما يعجب لأننى لم أنتفع به فى مسرحيتى ! لكنه (إذا كان من كتاب المسرح) سوف يتبين على الفور أننى انتفعت به بصورة غير مباشرة إذ بنيت على أساسه الحادثة الأساسية ـ وهى حادثة إختفاء القمح ـ مع ما فيها من المفارقة التى طالما شعرت بوجودها فى تاريخنا الطويل : أى وجود الشىء وعدم وجوده ! وكم أشفقت على مؤرخينا وأنا أخوض فى خضم أحداث السنين فى كتاب **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** لابن تَغْرى بَرْدى الأتابكى ـ فالإشارات مقتضبة إن لم تكن غامضة ، وكتابات المؤرخين محيرة ! وكم تمنيت على الله أن تعاد كتابة هذا التاريخ من وجهة نظر شاملة نرى فيها الناس مثلما نرى الحكام ، إذ لا يكاد المرء يحس بوجود البشر وسط هذا العباب الطامى من المماليك والأتراك والوزراء والأجناد والأعيان من الأجانب ، وأجد من المتعذر تصديق ما توحى به الكتب ويؤكده الدكتور حسن إبراهيم حسن من « أن المصريين لم يعارضوا فى تحويل طاعتهم من خليفة عباسىّ إلى خليفة علوى لأنهم كانوا يدركون الإدراك كله أن انتقال السلطة من عباسىّ إلى فاطمىّ أو من سنىّ إلى شيعىّ ليس من شأنه أن يحدث أى تغيير فى حالتهم السياسية لأنهم سيخضعون فى كلتا الحالتين لسلطان هذا الحاكم

أو ذاك » (**تاريخ الدولة الفاطمية ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧**) ـ ويكفى للتدليل على ذلك ما تعج به كتب القدماء من إشارات غير مباشرة إلى مواقف « المعارضة » أو التأييد من جانب « العامة » وما يقوله هو فى نفس الكتاب عن « إثارة سخط الأهلين » ، وعن الاضطرابات والفتن ـ « إذ كان لا يزال هناك كثيرون يناوئون سياسة الفاطميين » (ص ٣٤٩) ـ وهو يقع فى نفس خطأ المؤرخين الذين ينقل عنهم حين يورد الأحداث منفصلة دون رابط بما كان يجرى على مستوى الناس (أو ما نسميه الشعب اليوم) ـ فحادث تمرد رضوان بن الولخشى والى الغربية مذكور فى سياق غضب الناس على إزدياد سلطة الأرمن ولكنه محصور فى المصطلح القديم ـ فربما كان الأمراء هم الذين طلبوا العون حقاً من رضوان بن الولخشى ولكن الشعب هو الذى وقع به الضُّر فاضطر الأمراء إلى طلب العون من والى الغربية ، وهو يشير صراحة إلى تذمر الناس بعد مصادرة أموالهم فى عبارات مقتضبة مثل « على الرغم مما أظهره الناس من سخط عليه » (ص ١٧٧) ـ أو « إلى درجة أقلقت بالهم » وما إلى ذلك وهل يعقل أن يجمع رضوان « ثلاثين ألف رجل » فيسير بهم إلى القاهرة لقتال بهرام الأرمنى إلا إذا كان الرجال مستعدين لقتاله ؟ إن مؤرخى اليوم يتكلمون عن حروب الأمس بمفهوم الجيش العصرى حيث تحارب الأسلحة الحديثة بعضها بعضاً وينتصر بعضها على البعض ! وحيث يُجَنَّدُ الشبابُ ويُرْسلون إلى ميدان القتال شاءوا أم أبوا وآمنوا بالقضية أم كفروا ! ولكن الحرب فى تلك الأيام كانت تدور بين الرجال وبين العزائم والهمم ! ولا أتصور أن تستطيع فئة قليلة أن تغلب فئة كثيرة إلا بالهمة العالية والعزم الوطيد (« بإذن الله » يتلوها فى الآية ذكر الصبر ـ وهذا هو ما أعنيه) ـ فالسيف يقارع السيف والوجه يبصر الوجه وما الالتحام إلا إلتقاء اللحم باللحم ! إن المصريين الذين يستطيعون أن يتصدوا لجيش الخليفة الفاطمى بعد أن ألقى الله فى قلبه الرعبَ رجالٌ يؤمنون بقضية ويدافعون عن مبدأ ـ ويكفى أن تقرأ وصف ابن القلانسى فى كتابه **ذيل تاريخ دمشق** (طبعة بيروت ١٩٠٨) للقتال بين أفتكين والحسن القرمطى من ناحية والعزيز وجوهر الصقلى من ناحية أخرى لتدرك مدى الطابع الإنسانى بل والشخصى الذى كان يميز معارك تلك الأيام (ص ١٨ وما بعدها) ـ وانظر أيضاً المقريزى (**المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار ـ الجزء الثانى ـ بولاق ١٢٧٠ هـ**) لتجد مزيداً من التفصيلات عن سير المعركة ! وأنى لأعجب للكتاب والأدباء (وليس كتاب المسرح فقط) كيف لم يتناولوا هذه الأحداث فى أعمال أدبية ! (تماماً مثلما تعجب طه حسين فى **ألوان** عندما تعرض للقرامطة) .

ودون أن أطيل على القارىء أقرر أن ما لم يسجله المؤرخون حَىٌّ وقائمٌ بيننا وأننى أراه فى قلب المصرى الصميم ، وأننى عشته فى صباى فى بلدتى التى تقع فى قلب الريف ، فرأيت فيه وفيها مدخلاً لحقائق التاريخ ! وأقرر أيضاً أننى لا أتمسك بذكرى ضاعت وانمحت عن الريف المصرى ـ أى أننى لا أتعلق بماضٍ غَرُبَ عن الوجود واختفى ، ولكننى أجد فى أعماق الناس ـ

ما كانوا عليه وما أصبحوا فيه حقائق تشير إلى الواقع الذى أحاول « الإمساك به » فى مسرحيتى ! إن المصرى (الفلاح وساكن المدينة على حد سواء) لم يغب لحظة واحدة عن التاريخ بل إنه يصنع التاريخ ويحركه ! إنه (صابراً وثائراً) القوة التى تكمن داخل هذا البلد ! ومن هذه الرؤية نسجت الخيوط التى تستلهم التاريخ ولا تسجله .

وإذا كان لابد من كلمة ختامية عن الشكل ـ فيكفى أن أقول إننى تعمدت ألا أتقيد بشكل دون غيره ، أى أننى لم أضع لنفسى حدوداً خارجية لا أتعداها بل تركت شخصياتى تعيش كما يحلو لها ، مما اقتضى عدة أشياء أذكرها الآن بعين الناقد لا بعين المؤلف ، أهمها أن المسرحية خرجت فى صورتها الأولى أقرب إلى المسرح التجريبى الذى يعتمد على الراوى واللقطات المستمدة من أعماق التاريخ الذى لم يكتب ـ فى زمن غير محدد ـ وإن كنت أحياناً أحدده من خلال الأحداث ـ فخرجت المسرحية قصيرة سريعة لاهثة ، أقرب إلى قصيدة حوارية منها إلى مسرحية شعرية ! ولكننى كنت فرحاً بها لأننى استطعت أن أكسر الرتابة التى يمليها النظم التقليدى والبحور المركبة ، واستطعت أن أحقق غايتى وهى الإيحاء بأن هذا النظم طبيعى أى يحتمل أن يقوله الناس (وأبطالى من الناس) أساساً عن طريق تغيير البحر مرات كثيرة (ولو أننى لم أسمح للحظة نفسية أن تخرج بأكثر من إيقاع ـ ولذلك فالتغيير يتبع الحالات النفسية ويعتمد على تغيير المتحدث) وأيضاً بالزحاف الكثير . ومن هذه الأشياء أيضاً تجنب ما إرتبط فى الأذهان من علاقة محتومة بين الشعر والبلاغة التقليدية ، فلم أحاول التزييف بالتزيين ، ولم ألجأ عامداً (حسبما أعلم) إلى فرض المصطلح الشعرى التقليدى على الناس الذين أعرف كيف يتكلمون ويفكرون .

وقد نشرت المسرحية فى صورتها الأولى فى مجلة **إبداع** (عدد يناير ١٩٨٦) وأثارت ردود فعل مختلفة أهمها ما أثاره الأستاذ محمود الحدينى ـ الفنان القدير ـ من أن التوازن مفقود فيها بين السرد والحركة ، أى أن ثمة حاجة إلى إستبدال الحركة الدرامية المألوفة بما يقوله الراوى حتى تتجسد على المسرح دون عناء ، وما ذكره أستاذنا الدكتور عبد القادر القط من أننى لم أستغل وسيلة « الشعر » فى إخراج شعر « بالمعنى المفهوم » وأن المسرحية « كلها حوار » .

أما وجهة النظر الأخيرة فأعتقد أننى توليت الإجابة عنها فى الجزء الأول من هذه المقدمة ، وأما وجهة النظر الأولى فقد أخذت بها وأعدت قراءة المسرحية بعين جديدة (بعد أن انقضى عام كامل تقريباً على كتابتها) ووجدت أن الأستاذ الحدينى محق ! ودهشت لنفسى وأنا أندمج ثانياً فى حياة مايسة وزهير وسمراء ـ ووجدت عدداً من أهل بلدتى يلتحقون بهم ـ شخصيات أعرفها حق المعرفة مثل مقرور وطابونى ـ ووجدتنى أعود للكتابة

من جديد بحماس بالغ وفى فترة قصيرة اتضحت أبعاد جديدة للشخصيات والأحداث دون أن أغير من مفهومى الأول للحدث الدرامى و« الاستعارة » الكامنة فيه . وهكذا أَضَفْتُ مشاهد جديدة وأعددتها فى صورتها الحالية للتمثيل على المسرح .

ولا أستطيع فى ختام مقدمة كهذه ، لمسرحية كهذه ، أن أغفل المساندة المعنوية والنقدية التى تلقيتها طوال فترة الكتابة الأولى من زوجتى الدكتورة نهاد صليحة أستاذة الدراما بأكاديمية الفنون ، فلقد رافقتنى أثناء معاناة الكتابة نفسها ، وكثيراً ما اعترضت ورفضت ، وقليلاً ما قبلت ورضيت !

ولا يفوتنى أن أتقدم بالشكر الجزيل للشاعر الدكتور أحمد مستجير الذى تكرم بقراءة النص فى صورته ، واقترح إقتراحات لا تقتصر على النظم أو المشكلات العروضية ، فقد أعاننى بحسه الشاعرى على تخطى عقبات كثيرة .

وأخيراً فأرجو أن أكون قد قدمت مسرحية منظومة بها قدر من الشاعرية (حسب المفهوم الذى حددته) بلغة أهل هذا العصر ، لأهل هذا العصر ، وإن لم تكن عن أهل هذا العصر !

محمد عنانى ـ القاهرة

١٩٨٦ م

الغربان

الشخصيات

ـ الحاكم	(لا اسم له)	فى أى سن
ـ الوزير	(لا اسم له)	فى الخمسين
ـ زهير	فلاح	فى الأربعين تقريباً
ـ مائسة	(فلاحة)	حسناء فى منتصف العمر
ـ سمراء	فلاحة شابة	
ـ عارف	جاسوس	فى أى سن
ـ معروف	شاعر	فى أى سن
ـ مقرور	فلاح هرم	
ـ طابونى	خباز سمين	
ـ عماد	رئيس الحرس	شركسى
ـ الراوى	أى سن	(رجل)
ـ مساعد الراوى ١	أى سن	رجل أو إمرأة
ـ مساعد الراوى ٢	أى سن	رجل أو إمرأة
ـ حاجب الحاكم	أى سن	
ـ رسول السلطان	أى سن	
ـ خصى	أى سن	

حرس ـ جنود ... الخ

المنظـر

ـ (تجريدى) ساحة واسعة ـ فى أقصى الخلف منظر دائم للسماء والحقول الخضراء وأمامه تشكيلات من البيوت التقليدية للقرى المصرية والمآذن وأبراج الحمام ـ فى أقصى اليمين لوحة أو تركيبة تمثل باب قصر الحاكم مما يوحى بأن الساحة التى أمامه ساحة العرش .

فى أقصى اليسار باب يؤدى إلى باقى غرف القصر . وفى أقصى مقدمة المسرح مساحة تمتد للصالة هى التى يقف عليها الراوى ولها جناحان يقف على كل جناح أحد مساعديه الاثنين . يمكن للراوى أن يتحرك بحرية فى هذه المساحة ـ من اليمين إلى المنتصف أو إلى اليسار ولكنه لا يدخل إلى المسرح إلا فى المشاهد التى يُنَصُّ فيها على ذلك (فى الجزء الثانى من المسرحية) .

عندما تبدأ المسرحية يسمع لحن من نوع ألحان سيد درويش الشعبية (القلل القناوى وخاصة مقطع « الدنيا مالها يا زعبلاوى ») ـ ولكن التوزيع الأوركسترالى هنا يجعله مجرداً بعض الشىء ويستخدم موتيفة تتكرر مع التنويع فى النقلات بين

المشاهد ويمكن للمخرج هنا استخدام رقصة تجريدية للفلاحات يحملن سنابل القمح ـ ولرجال يرتدون ملابس الغربان وفى جنوبهم سيوف وخناجر ـ ثم مع انصراف الراقصات يتجمع الرجال ويدخل الحاكم والوزير وعارف ومعروف والخصى والحاجب ـ من أقصى اليمين (بينما تخرج الراقصات من الخلف) ـ يتحرك الجميع حركات تشكيلية ثم يدخل الراوى ومساعدوه فيجمدون فى أماكنهم فى الخلفية أو يجلسون على مصاطب مختلفة الارتفاع لتوحى بمكانة كل منهم .

لا يتحدث أثناء حديث الراوى إلا الشاعر معروف وهو يلقى شعره العمودى بطريقة خطابية فكاهية ويستحسن أن يكون الحاكم غريب المنظر ـ إما ضئيل الجرم أو ضخم الجسم جداً ـ والأفضل أن يكون هؤلاء ذوى أشكال منوعة . عندما يلقى الشاعر شعره يعود الجميع للحركة ثم يجمدون حين يعود الراوى إلى الحديث .

بعد أن ينتهى الراوى من حديثه ينسحب هو وصاحباه إلى مقدمة المسرح حيث يجلسون جميعاً يشهدون ما يجرى على المسرح من أحداث ، حتى إذا انتهى المشهد بإظلام المسرح نهضوا وأخذوا أماكنهم وشرعوا فى الحديث .

المشهد إذن لا يتغير ـ فهو دائماً ساحة بين قصر الحاكم وقصر الوزير وعندما يأتى مشهد زهير ومائسة فى الحقل يزداد الضوء فحسب على اللوحة الخلفية للإيحاء بتغير المشهد .

ألحان أغانى الحفل لابد أن تكون مزيجاً من التركية والمصرية أى لابد أن تستخدم ربع النغمة ليس لإضفاء الحلاوة اللحنية ولكن لتأكيد البعد التاريخى . وبعض هذه الألحان مسجل فى كتاب « عادات المصريين » لإدوارد لين مثل لحن :

يا بنات اسكندرية مشيكم ع البحر غية
يا بنات جوه المدينة مشيكم ع الفرش زينة

ويستوحى من هذا لحن أغنية القيان ، ويوضع لحن مناقض له لأغنية العرافة (سمراء) .

يمكن أن تتخذ الملابس نفس الطابع التجريدى ولكن ـ باستثناء الراوى وصاحبيه ـ لا بد أن توحى بالعصر التركى أو المملوكى .

المشهد الأول

الــــراوى : فى زَمَنِ الـمُسْتَنْصِرِ باللَّهْ
غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهْ
وَقَعَتْ شِدَّةْ
بَحَثَ النَّاسُ عَنِ اللُّقْمَةْ
عَرَفُوا ذُلَّ الشَّكْوى
ثم انْجَلَت الغُمَّةْ !
كان الفَيْصَلُ من أَرْضِ الشَّامْ
رَجُلاً يُدْعَى بَدْراً
جَمَعَ الأَشْرافَ على مائدةٍ وأَسَالَ دِمَاهُمْ
قُلْ مائةٌ أو أَلْفْ
لَمْ يَعْرِفْ أحدٌ إنْ كانوا خَوَنَةْ
إن كانُوا سَرَقُوا المَحْصُولْ
أو كانُوا سِفْلَةْ

يَمْتَصُّونَ دِمَاءَ النَّاسْ
لَكِنَّ الشِّدَّةَ زَالَتْ !

صوت ١ : هذا ما قالَ المَقْرِيزى

صوت ٢ : لَكِنَّكَ لَسْتَ مُؤَرِّخَ قَصْرِ الحاكِمْ !

صوت ١ : بَلْ أنتَ مُؤَرِّخُ أبناءِ الشَّعْبْ

الـــراوى : فى كُلِّ أقاصِيصِ التَّارِيخْ
طَرَفَانْ
الأولُ يَنْظُرُ مِنْ فَوْقْ
يَرْصُدُ ما يَحْدُثُ فَوْقَ السَّطْحْ !
والثانى يَنْفُذُ لِلأعماقْ
الأولُ يَحْكى ما تُبْصِرُه العَيْنْ
والثانى يَحْكى ما يُبْصِرُه العَقْلْ

صوت ١ : لكنكَ لَسْتَ مُؤَرِّخَ بيتِ الحاكِمْ
لا تَحْكِ عَنِ السُّلْطَانْ
وعَنِ الأَجْنَادِ أو الغِلْمَانْ

صوت ٢ : إن كَانَ فِى سَمْعِ اللَّيالِى مِنْ نَغَمْ
يحكى أَقَاصِيصَ الحَيَاةِ بَيْنَنَا
وَسْطَ الحُقُول ـ

صوت ١ : أو وَسْطَ سَاحَاتِ العَمَلْ
فى مُلْتَقَى الصُّنَّاعِ والزُّرَّاعِ والتُّجَّارْ

صوت ٢ : إن كانَ فى سَمْعِ اللَّيالى مِنْ نَغَمْ
يَسْمُو بِهِ الأَلَمْ ـ

الـــراوى : هذا الذى فى مَسْمَعِ الأَيَّامِ بَعْضُ قِصَّةٍ

لم يَرْوِهَا التَّاريخْ
وما تَغَنَّاهَا شُوَيْعِرٌ أَجِيرْ
إن كُنْتُمَا تَسْتَعْذِبَانِ سَمْعَهَا
فَأَخْرجا هذا الشُّوَيْعِرْ
فَلَا أُرِيدُه هُنَا ..

(يسقط الضوء على معروف فينشد)

معروف : نُورُ المَلِيكِ فى السَّماَ
سِحْرٌ يُضِلُّ الأَنْجُمَا

(الثان يجرانه إلى خارج المسرح)

(وهو على وشك الخروج)

قَصَائِدى فى مَدْحِهِ
خَرَائِدٌ تَرْوِى الظَّماَ !

(يخرج)

الــــراوى : هَذِه قِصَّةُ حُبٍّ لِمَكَانْ
لِسُهُولٍ وضِفَافٍ وأَمَانْ
ونَسِيجٌ من أَصَابِعِ الأَلَمْ !

صوت ١ : الدِّمَاءُ فى العُرُوقِ
تَرْتَوِى مِنَ الأَلَمْ

صوت ٢ : تُكْسِبُ الحُزْنَ جَمَالاً ـ

صوت ١ : تُكْسِبُ الحُزْنَ فَرَحْ !

صوت ٢ : مِنْ ثَنِيَّاتِ الزَّمَنْ
يَسْتَثِيرُنَا الشَّجَنْ
ثُمَّ يَغْدُو بَيْنَ أَيْدِينَا عِنَاداً

يَرْتَقِى فَوْقَ الزَّمَنْ

الــراوى : فِى زَمَنٍ لاحِقْ
لَا يَدْرِى أَحَدٌ أَيْنَ يَكُونُ عَلَى أَطْلَسِ أَيَّامِ اللَّهْ
طَلَبَ السُّلْطَانُ مِنَ الوَالِى مِنْحَةَ قَمْحٍ ضَخْمَةْ
ثَمَناً لِبَقَاءِ الوَالِى فَوْقَ العَرْشْ
والوَالِى لَا يَمْلِكُ أَنْ يَعْصِى
فَالحكْمُ لَهُ لَذَّةْ
الأَمْرُ مُطَاعْ
والمَطْلَبُ حَاضِرْ
تَسْمَعُ أَقْوَالَ المَدَّاحِينْ

مـعـروف : **(يطل من ركن المسرح)**
كَأَنَّ بَهَاءَ النُّورِ فَوْقَ جَبِينِهِ
وشَاحُ جَمَالٍ زَانَهُ مَشْرِقُ السَّعْدِ !

الــراوى : أَوْ أَقْوالَ الحُكَمَاءْ
أَوْ أَشْبَاهَ الحُكَمَاءْ

مـعـروف : **(من نفس مكانه ولكن يتقدم من الحاكم)**
تَوَكَّلْ عَلَى الحَىِّ الَّذِى أَنْتَ ظِلُّهُ
عَلَى الأَرْضِ تَمْشِى شَامِخاً فَارِعَ القَدِّ

مـعـروف : **(يكون قد وصل إلى الحاكم)**
وَأَخْلَفَكَ اللَّهُ العَلِىُّ عَلَى الوَرَى
فَهَاكَ قُطُوفُ الخُلْدِ والعِزِّ والمَجْدِ !

(يطارده المساعدان فيجرى خارجاً)

الــراوى : الحُكْمُ لَذِيذْ ! **(يضحك)**
الحُكْمُ ظَرِيفْ !

صوت ١ : لَكِنَّكَ كُنْتَ سَتَحْكى عَنْ فلاّحْ

صوت ٢ : هذا ما قُلْتَ لَنَا !

الـــراوى : صَبْراً يا إخْوانِى ..
الشِّدةُ كَانَتْ قُلْتُ لَكُمْ فى عَصْر لاحِقْ
والشّدةُ هَذِى المَرَّةَ
لا نَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَتَتْ !

(يتغير المشهد ـ إضاءة على الخلف
حيث ترى جموع الفلاحين يسقط
عليها الضوء ـ بينما ينسحب الحاكم
والوزير والشاعر والجاسوس)

(يتقدم زهير من وسط المسرح)

زهـــير : فى صَمْتٍ كَهْفِ اللَّيْلِ تَاهَتْ الرُّؤى
إذْ طَالَمَا قَرأْتُ عَنْ مَجَاعَةِ الزَّمَانْ
وَطَالَمَا سَمِعْتَ عَنْ مَهَانَةِ الإنْسَانْ
وَعِنْدَمَا كَانُوا يَقُصُّونَ القِصَصْ ـ
كَنْتُ أُصَدِّقْ !
كَمْ قِيلَ إنَّ النِّيلَ لَمْ يَفِضْ
كَمْ قِيلَ إنَّ الرِّزْقَ ضَاقَ حِينَ غَاضَتْ المِيَاهْ !
وَكُلّ عامٍ يُقْبِلُ الحَصَادُ بالرِّزْقِ الوَفِيرْ
وَنَحْصُدُ السَّنَابِلَ المُذَهَّبَهْ
وَيَرْقُصُ الفِتْيَانُ والأَولادْ
وَتَطْرَبُ الوُدْيَانُ والوِهَادْ
وَنَنْتَشِى بِفَرْحَةٍ كَأَنَّها فَجْرُ الحَيَاةْ
وَفَجْأَةً يَنْقَضُّ أَجْنَادُ الزَّمَانْ !

(تشكيلات فى خلفية المسرح من
فلاحين يتصلبون حين يدخل الجنود
ويخرج الجميع حاملين حزم القمح
المجموع)

زهـــير : فى كَهْفِ اللَّيْلِ تُعَاوِدُنى الأَصْدَاءْ
فَرَحٌ كَالأَلَمِ يُجَاذِبُنِى الأَنَّاتْ
فَعَبِيرُ الصُّبْحِ عَلَى كُلِّ الوَجْنَاتْ
وَسَنَابِلُ قَمْحِ الفَجْرِ حَيَاةٌ .. وَمَمَاتْ !

(يتجول بين الفلاحين الصامتين ثم
يواجه الجمهور)

يَاكَهْفَ الصَّمْتِ العَابِدِ فى مَلَكُوتِ اللَّهْ
أَصْدَاءُ المَاضِى تَرْتَعُ فى جَنَبَاتِ النَّفْس !
القَمْحُ أَمَامى وَوَرَائِى .. القَمْحُ بأَيْدِى الزُّرَّاعْ ..
لَكِنَّ التَّاريخَ يَقُولُ مَجَاعَةْ !
زَمَنُ الشِّدَّةْ !
يَا سُبْحَانَ اللَّه !
النِّيلُ يَفِيضُ بِخَيْرِ اللَّه !
والمَاءُ يَسِيلُ نَعِيماً فى أَرْضِ اللَّه ..
لَكِنَّ التَّاريخَ يَقُولُ مَجَاعَةْ !
يَا سُبْحَانَ اللَّه !
الواقعُ أم أَسْفَارُ التَّارِيخْ ؟
أَوَ لَمْ نَشْرَبْ ماءَ النِّيلْ ؟
أَوَ لَمْ نَزْرعْ قَمْحَ النِّيل ؟
أَوَ لَمْ نَحْصُدْ قَمْحَ النيل ؟

الفلاحون

ينشدون : سَنَابِلُ الذَّهَبْ عَلَى رَوَابِى النُّورْ
كَأَنَّهَا اللَّهَبْ يَعُودُ لِلصُّدُورْ
سَنَابِلُ الأَمَلْ فى أَرْضِنَا المِعْطَاءْ
تَهُزُّ كُلَّ رُوحْ وَتَبْعَثُ النَّمَاءْ
سَنَابِلُ العَمَلْ بِالحُبِّ نَسْقِيهَا
النِّيلُ يَرْوِيهَا واللَّهُ يَحْمِيهَا !

صوت

مفرد : سَنَابِلُ الخَرِيفِ يَاهَمْسَ الحَفِيفْ
الصَّمْتُ رَانَ فَوْقَ عُودِكِ الرَّهِيفْ

الفلاحون : أَوَّاهُ قَمْحَ مِصْرْ غَدًا يَأْتِى الجُنُودْ
وَلَنْ تَرَاكَ مِصْرْ وَلَنْ تَرَى الوُجُودْ !

زهير : لَيْتَنِى لَمْ أَسْمَعْ الأَصْدَاء تَدْوِى فى الحُقُولْ
لَيْتَنِى لَمْ أَشْهَدْ الأَنْواء فى لَيْلِ الشِّتَاءْ
حِينَ عَانَقْنَا نَبَاتَ الأَرْضِ حَارَبْنَا شَيَاطِينَ الهَوَاءْ
كَانَتْ الحَبَّاتُ تَصْرخْ
كَانَتْ الأَعْوادُ تَأْسَى وتَمِيلْ
كَمْ رَعَيْناها كَأَطْفالٍ صِغَارْ
وَحَمَيْنَاهَا أَعَاصِيرَ النَّهَارْ !

صوت

مفرد : سَنَابِلُ الخَرِيفِ ضَاعَتْ فى الخَرِيفْ
والصَّمْتُ حَطَّ فَوْقَ عُودِهَا الرَّهِيفْ !

زهـــيـر : (إلى الفلاحين) حُطُّوا الرِّحَالَ إخْوَتِى
قَدْ أَشْرَقَ الصَّبَاحْ

مـقـرور : (وهو شيخ هرم) فَهٰذِهِ نِهَايَةُ المَطَافْ !

زهـــيـر : بَلْ أَوَّلُ المَطَافْ !

ســمـراء : صَبَاحَ الخَيْر يا ابن العَمّ !

زهـــيـر : صَبَاحَ الخَيْرِ يا سَمْراءُ !

مـقـرور : صَبَاحٌ أَوْ مَسَاءٌ ما الذى يَعْنِيهْ ؟
زُهَيْرٌ ضَلَّ عَنْ رَكْبِ الزَّمَنْ !

ســمـراء : رُوَيْداً لَاتَزِدْ مَقْرُورْ !

تَفَضَّلْ - (تساعده على الجلوس) لَمْ أَنَمْ ..
بَلْ لَمْ يَنَمْ أَىُّ الرِّجَالْ

زهـــيـر : سَهِرنَا ثَانِياً وَقْتَ الحَصَادْ !

ســمـراء : قَدْ انْتَهى الحَصَادُ يَا زُهَيْرْ !
لَمْ يَسْتَطِعْ أَىُّ الرِّجَالِ أَنْ يَنَامْ
خَوْفاً عَلَى المَحْصُولِ مِنْ نَدَى الصَّبَاحْ !
وَقَبْلَ أَنْ يُؤَذِّنَ المُؤَذِّنْ
بَلْ قَبْلَ أَوَّل السَّحَرْ
ضَمُّوا سَنَابِلَهُ الجَمِيلَةْ !

مـقـرور : كَمِثْلِ كُلِّ عَامْ ..
وَمِثْلَ كُلِّ عَامٍ جَاء طَابُونِى !
هَيْهَاتَ طَابُونِى ..
اذْهَبْ إلى بَيْتِكْ !

زهـــيـر : لَا بَأْسَ إِنَّهُ .. خَبَّازْ !

طـــابونى : إنّى أتبَرّكُ بالـمَحْصُولْ !
أعْنِى .. (**يتردد**) لا أبْغِى إلاّ قِنْطَاراً ..
مَا أجْمَلَ طَعْمَ المَطْحُونِ الطَّازَةْ !
الخُبْزُ الأبيضُ يَوْماً فِى العَامْ ..
يَوْماً .. والباقِى سِنّ
إنْ كَانَ هُنَاكَ السِّنّْ !
أنَا لا أقْصِدُ أنْ أسْرِقْ
فَأنَا خَبّازٌ أعْطِى النَّاسَ الرُّغْفَانْ

(**يتقدم منه زهير فى غضب**)

أرْجُوكَ زُهَيْرُ لا تَغْضَبْ !
أنَا لا أقْصِدُ إلاّ أنْ أُطْعِمَ أهْلَ القَرْيَة ـ
أوْ أهْلَ الحَارَةْ !

(**يضحكون منه**)

زهـــــير : يَا طَابُونِى !
أنَا لاَ أغْضَبُ مِنْ طَلَبِكْ
بَلْ أغْضَبُ مِنْ ذِكْرِ السَّرِقَةْ !
سَرِقَهْ ؟ هَلْ نَسْرِقُ مَالاً لَيْسَ لَنَا ؟
قُلْ يا مَقْرُور !
مَنْ حَرَثَ الأرْضَ فَغَاصَتْ فِى الأرْضِ الأقْدامْ ؟
مَنْ حَمَلَ المَاءَ على كَتِفَيهِ فَسَالَتْ بالماءِ الوُدْيانْ ؟
مَنْ بَذَرَ الحَبَّ فَعَانَقَ فى الطِّينِ الدِّيدَانْ ؟
مَنْ بَاتَ سُهَاداً كَىْ تُزْهِرَ فى الحَقْلِ العِيدَانْ ؟
يَا طَابُونى !
الأرْضُ .. هَذَا الطِّينُ .. أرْضُنَا

والقَمْحُ .. هذا القمحُ .. قُوتُنَا
والحَقُّ يا مَقْرورُ .. هذا الحَقُّ حَقُّنَا !

مقرور : الحَقُّ أَنَّ هَذَا قَوْلُ غِرٍّ لَمْ يُجَالِدْ الحَيَاةْ !
وَإنْ مَدَدْتَ إصْبَعاً فَنِلْتَ مِنْهُ حَبَّةً
حَطَّتْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِها .. (**لحظة صمت**)
عِقْبانْ !
الجُنْدُ يَازُهَيْرُ تَعْرِفُ الطَّرِيقَ لِلْحُقُولْ
وَكُلَّ شِبْرٍ مِنْ تُرابِ مِصْرٍ فيهِ حِنْطَهْ !

طابونى : لَكِنَّ قِنْطَاراً صَغِيراً
أَعْنِى ـ بَلاَشْ !
قُلْ نِصْفَ قِنْطارٍ صَغِيرْ !
أَعْنِى ـ بَلاَشْ !
قُلْ رُبْعَ قِنْطَارٍ حَقِيرْ !

مقرور : الجُنْدُ تَحْسِبُ الحُبُوبَ حَبَّةً بِحَبَّةْ !

زهير : بالأَمْس زَارَنِى يَا سَيِّدى المَقْرُورْ
صَوْتٌ مِنَ المَاضِى أَقَضَّ مَضْجَعِى
سَمِعْتُه يَقُولُ لِى فى نَبْرَةٍ كَأَنَّها عِتَابْ
أَلاَ تَخَافُ وَقْفَةَ الحِسَابْ ؟
أَلا تَخَافُ أَنْ يُسَائِلَكْ
فى حَوْمَةِ البَعْثِ مَلَكْ ؟
أَرْوَاحُ مَنْ مَاتُوا جِيَاعاً
أَرْوَاحُ كُلِّ مَنْ هَلَكْ ـ
تَهْتِفُ حَوْلَكْ !

مَجَاعَةٌ إِثْرَ مَجَاعَة !
والقَمْحُ يَمْلأُ الحُقُولْ ؟
القَمْحُ يُتْخِمُ السُّلْطَانَ والأَعْوَانَ والأَجْنَادْ
وَيَدْفَعُونَ مِنْهُ مِنْحَةً
أَوْ هِبَةً مُدنَّسَةْ
لِصَاحِبِ الكُرْسِيِّ رَبِّ النِّعَمِ !

مـــقـــرور : لَا تَشْتُمْ السُّلْطَانَ يَا زُهَيْر
حَذَارِ فالعُيُونُ لَا تَنَامْ
وَمَنْ تَرَاهُ صَاحِبَكْ
رُبَّمَا يَفْتِكُ بِكْ !

زهـــيـــر : وَهَلْ نَخَافُ يا مَقْرورُ مَنْ نَعُولْ ؟
أَلَا نَمُدُّهُمْ بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسْ ؟
تُرَى سَأَلْتُمْ مَا يَكُونُ إِنْ حَبَسْنَا قَمْحَنَا ؟ !

ســـمـــراء : (**مذعورة**) حَذَارِ يَا زُهَيْرُ إِنَّ مَقْرُوراً حَكِيمْ !
وَهَذِهِ الأَفْكَارُ بِنْتُ الشَّرِّ
مَازِلْتُ أَذْكُرْ
أَلَمْ تَقُلْ لِي مِثْلَهَا فِي مَوْسِمٍ مَضَى ؟

زهـــيـــر : لَكِنَّنِي سَمِعْتُ هَذَا العَامَ هَاتِفِي الغَرِيبْ :
القَمْحُ قَمْحُ النَّاسِ لَا قَمْحُ الصُّقُورْ
نُعْطِي البُغَاثَ رِيشَنَا لِيُصْبِحُوا نُسُورْ !

مـــقـــرور : هَذَا هُوَ القَدَرْ !
فَمِثْلَمَا عَاشَ أَبِي أَعِيشْ
وَمِثْلَمَا مَاتَ أَمُوتْ !

زهـــيـر : لَكِنَّنِى سَمِعْتُ هَذَا العَامَ هَاتِفى الغَرِيبْ
والْيَوْمَ جَاءَنى رِجَالْ
مِنْ كُلِّ إقْلِيمٍ حَبَاهُ اللَّهُ قَمْحاً جَاءَنِى الرِجَالْ
هَاهُمْ أُولاءِ ..

(يتجمع حوله رجال)

قَدْ قَرَّرُوا أَلاَّ يُضِيعُوا ما حَبَاهُمْ رَبُّهُمْ !
قَدْ قَرَّرُوا أَلاَّ يَجُوعَ النَّاسُ هَذَا العَامْ !

ســمـراء : مَاذَا عَسَاهُمْ فَاعِلُونْ ؟
لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ أَنْ يُنَازِلوا الجُنُودْ !

زهـــيـر : لَسَوْفَ يَخْتَفِى
مَحْصُولُ هَذَا العَامْ !
لَسَوْفَ يَقْلِبُونَ الأَرْضَ بَحْثاً .. لا جِدَالْ !
لَكِنَّهمْ لَنْ يَعْثُرُوا .. إلاَّ عَلَى المُحَالْ !

مـــقـرور : واللَّهِ إنْ أَخْفَيْتَهُ فِى جَوْفِ جُبّ !
واللَّهِ إنْ صَدَّرْتَهُ لِلشَّامْ
فَسَوْفَ يَعْرِفُونَ مَوْضِعَهْ !

ســمـراء : الحَاكِمُ الجَدِيدُ ذُو عُيُونٍ ثَاقِبَةْ !

طــابونى : فَلْنَصْنَعْ الخُبْزَ بِه ونَخْزِنُه ..
فَبَعْضُه طَرِىّ .. وَبَعْضُه مُقَرْمَشْ !

مـــقـرور : لَسَوْفَ تَحْتَاجُ أَلْفَ مَخْبَزْ !

ســمـراء : بَلْ لَنْ يَكْفِى أَلْفٌ أَوْ أَلْفَانْ !

زهـــيـر : لا يا ابْنَةَ العَمِّ الكَرِيمَةْ !
لَسَوْفَ يُعْطِى الزَّارِعُونَ قَمْحَ العَامْ
لِكُلِّ أَهْلِ مِصْر !

وَسَوْفَ يَأْخُذُ الجَمِيعُ ما يَكْفِيهِمْ
حَتَّى إذا تَفَرَّقَ المَحْصُولْ
وَلَمْ يَعُدْ فِى الحَقْلِ حَبّ ..
لَمْ يَسْتَطِعْ عِقْبَانُ حَاكِمِ الزَّمَانِ أَوْ غِرْبَانُه
أَنْ يَأْخُذُوا مِنَّا كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً !

مقرور : فى كُلِّ إِقْلِيمٍ بِمِصْر ؟

طابونى : إذَنْ سَآخُذُ الذى أُرِيدْ
أربعةً أَوْ خَمْسةْ ..
وَسِتَّةً وَسَبْعَةْ ..

زهير : لا بَلْ سَتَأْخُذُ القَلِيلْ ..
وَلَنْ يَنَالَ كُلُّ واحدٍ إلاَّ القَلِيلْ ..

سمراء : فِى كُلِّ مِصْر ؟

زهير : فى كُلِّ إِقْلِيمٍ حَبَاهُ اللّهُ قَمْحاً ..
هَا هُمْ أُولاءِ الزَّارِعُون ..
فَلْتَسْأَلُوهُمْ ..

(لغط وهرج ومرج)

أَرْجُوكَ يا مقرورُ يا سمراءُ يا طابونى ..
هَلْ تَعْرِفُون ما يريدُه الرِّجالْ ؟
هَلْ تَعْرِفُونَ مَعْنَى أَنْ يَكُونَ قَمْحُنَا فى يَدِنَا ؟

مقرور : مَعْنَاهُ مَذْبَحَةٌ مَرِيرَةْ !

سمراء : مَعْنَاهُ هَتْكُ العِرْضِ مَعْنَاهُ الفَوَاحِشْ !

مقرور : هَذَا زَمَانُ الظُّلْمِ شِئْنَا أَمْ أَبَيْنَا
والجُنْدُ تَحْكُمُنَا رَضِينَا أَمْ كَرِهْنا !

زهـــير : لا يا صِحَابْ ! (**إلى الرجال**) لا يا رِجَالْ !
مَعْنَاهُ أَنَّا نَكْتُبُ التَّارِيخَ حَقًّا لا نِفَاقاً ..
مَعْنَاهْ ! **(يدور على المسرح بحثاً عن الكلمات)**
أَلاَّ يَجُوعَ النَّاسُ فِى زَمَنِ المَجَاعَةْ
مَعْنَاهُ أَلاَّ تَحْصُدَ النَّاسَ المَجَاعَةْ !
(يغير النبرة)
لَسَوْفَ تُنْثَرُ الحُبُوبُ فى قُرَى مِصْرَ الظَّلِيلَةْ
وَلَنْ تُخَزَّنَ السَّنَابِلُ الجَمِيلَةْ
حَتَّى تُصِيبَ مُتْرَفاً بالتُّخَمَةْ !

مـــقرور : وحينَ يَأْتى الجُنْد ؟

زهـــير : (**يضحك**) لاَبُدَّ أَنْ يَأْتِى الجُنُودُ فَمَا عَسَاهُمْ واجِدُونْ ؟
لاَ شَىْءَ إلاَّ كِسْرَةً .. لاَ شَىْءَ إلاَّ مَا نَعِيشُ عَلَيْه !

طـــابونى : أَفَلاَ أُعِدُّ لَكُمْ فَطَائِراً ظَرِيفَةً ؟

مـــقرور : أَنَا أَخْشَى الجُنْدَ .. أَخَافُ عَلَى رَأْسِى !

زهـــير : لاَ .. لاَ تَخَفْ مَقْرُورْ !
لَنْ يَسْتَطِيعَ الجُنْدُ قَتْلَ النَّاسْ
فَالنَّاسُ تَزْرَعُ الحُقُولْ ..
وتَصْنَعُ الثِّيَابْ ..
وتَصْنَعُ السِّلاَحْ ..
وَهُمْ يُرِيدُون الحُقُولَ والثِّيابَ والسِّلاَحْ !

ســـمراء : مَازِلْتُ أَخْشَى يَازُهَيرْ !
لَكِنَّنِى .. عَرَفْتُكْ ..
وَأَنْتَ أَهْلٌ لِلثِّقَةْ ..

طـابوني : لِلَّهِ دَرُّ زُهَيْر ..

زهـيـر : لِلَّهِ دَرُّ النَّاسْ !
هَيَّا بِنَا فَالوَقْتُ فَاتْ ..
فَفِي غَدٍ يَصِلُ البَشِيرْ (**يضحك**)
أَحَدُ الزَّبَانِيَةِ الصِّغَارْ !
أَحَدُ الزَّبَانِيَةِ الذِّينَ عَرَفْتُهُمْ بالأَمْسِ
جَاسُوسٌ صَغِيرْ
لَسَوْفَ تَعِرفُونَ مِشْيَتَهَ .. وَتَضْحَكُونَ مِنْ عُيُونِهِ المُدَوَّرَةْ !

مـقـرور : أَنَا لاَ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَه !
بَلْ لاَ أَعْرِفُ شَيْئاً
أَوْ أَسْمَعُ شَيْئاً !

طـابوني : إنْ كَانَ يُرِيدُ الخُبْزَ مَنَحْنَاهُ قَلِيلاً !

مـقـرور : بَلْ سَوْفَ يَبْغِي رَأْسَكَ المُبَطَّطَهْ !

سـمـراء : وما اسمُه زُهَيْر ؟

زهـيـر : لَسَوْفَ أُنْسِيه اسْمَه !
يَقُولُ إِنِّي مِنْ كَثْرَةِ الذِّي عَرَفْتْ
لَا بُدَّ أَنْ أَكُونَ عَارِفاً !

سـمـراء : وَسَوْفَ يَعْرِفُ الخَبِيءَ يَا زُهَيْر !

زهـيـر : لَسَوْفَ يَعْرِفُ الذِّي يُقَالُ لَهْ !
وَسَوْفَ يَعْرِفُ عَارِفْ ..
لَا شَيْءَ إلاَّ أَنَّ قَمْحَنَا
طَارَتْ بِهِ الغِرْبَانْ !

(همهمة من الجميع ـ الغربان ؟ الغربان !)

هَلْ تَسْمَعُونَ يَارِجَالْ ؟
طَارَتْ بِهِ الغِرْبَانْ !

(إظــلام)

المشهد الثانى

الـــراوى : لَمْ يُضِعْ العَارِفُ وَقْتاً ..
كَانَ يُحِسُّ بِأَنَّ الفَلاحينَ تُدَبِّرُ أَمْراً
فَتَسَلَّلَ فِى أَعْقَابِ حَصَادِ القَمْحِ إِلَيْهِمْ
وَتَخَفَّى فِى زِىٍّ خَاصّ
لَكِنْ لَمْ يَخْدَعْهُمْ ..
كَانُوا فِى اسْتِقْبَالِ الضَّيْفْ
وَعَلَى كُلِّ لِسَانٍ نَفْسُ الرَّدّ
قَمْحُ المَوْسِمْ .. أَكَلَتْهُ الغِرْبَانْ !

صوت ١ : مَنْ ذَا الذّى يُصَدِّقْ ؟

صوت ٢ : كَأَنَّه الخَيَالْ !

الـــراوى : وَلَم يُصَدِّقْ عَارِفْ !
فَطَافَ بالقُرى وعَايَنَ الأَجْرَانْ
وَفَتَّشَ الصَّوَامِعْ ..
وَقَلَّبَ الغِيطَانْ !
وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَقُولُ لَهْ :

لَا شَكَّ أَنَّ قَمْحَنَا

طَارَتْ بِهِ الغِرْبَانْ !

صوت ١ : لَكِنْ أَلَمْ يُبَلِّغْ ؟

صوت ٢ : مُهِمَّةُ الجَاسُوسِ أَنْ يُبَلِّغْ ..

لَا أَنْ يُصَدِّقَ أَوْ يُكَذِّبْ !

الـــراوى : فى يومٍ مَشْهودٍ ذَاتَ صَبَاحْ

جَاءَ إِلَى القَصْرِ نَذِيرٌ بِضَيَاعِ المَحْصُولْ !

لَا تُوجَدُ فى الإِقْلِيمْ

حَبَّةُ قَمْحٍ وَاحِدَةٌ تَدْعُو اللّٰهْ !

وَلِهَذَا الأمرِ الفَادِحِ يَسْتَدْعِى الحَاكِمُ بَعْضَ الكُبَرَاء

وَبِأَيْدِيهِمْ بَعْضُ النُّظَرَاء

لِتَأَمُّلِ مَأْسَاةِ اليَوْمِ الأَغْبَرْ !

الحاكـم : **(يبدأ الحديث عندما يسقط الضوء عليه بينما ينسحب الراوى)**

مَاذَا أَسْمَعُ مِنْ هَذَا النَّاعِقْ ؟

مَاذَا يَحْكِى ذَاكَ المَأْفُونْ ؟

هَلْ يُفْصِحُ عَنْهُ وَزِيرِى ؟

الـوزيـر : مَوْلَاىَ .. الصَّبْرْ

الحاكـم : الصَّبْرَ عَلَى مَاذَا ؟ انْطِقْ !

الـوزيـر : **(يتردد ويتلعثم ويدور على المسرح حائراً)**

القِصَّةُ مَكْذُوبَةْ .. إِذْ لَا يُعْقَلُ أَنَّ القَمْحَ يَضِيعْ !

وإِذَا أَبْدَى مَوْلَاىَ الصَّبْرْ

أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَتَحَقَّقْ !

عــــارف : هَلْ يَأْذَنُ مَوْلَاىْ ؟

الـوزيـــر : مَاذَا يَا عَارِفْ ؟ (عارف يتقدم فى خوف)

عــــارف : عَفْواً مَوْلَاىَ اغْفِرْ لِى
لَكِنَّ الحَالَ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ ..
لَا تُوجَدُ فِى الإِقْلِيمِ حُبُوبْ
وَلَقَدْ فَتَّشْتُ وَنَقَّبْتُ
وَطَوَيْتُ حُقُولاً وحقولاً أَسْأَلُ فِى ذِلَّةْ ..

الـوزيـــر : اسْكُتْ .. أَنْتَ حِمَارْ !
إنْ كَانُوا قَدْ خَدَعُوكَ فَمَا خَدَعُوا « مَعْرُوفْ »
هَيَّا يَا مَعْرُوفْ .. طَمْئِنَّا !

مـعـروف : الْوَاقِعُ يا مَوْلَاىْ ..
الواقعُ أَنَّ الأَمْرَ الوَاقِعَ غَيْرُ الوَاقِعْ !
والظَّاهِرُ أَمْرٌ خَادِعْ
والعَيْنُ تَرَى الحَاصِلَ دُونَ الدَّافِعْ
وَلِذَا فَالقَمْحُ الضَّائِعْ
مَوْجُودٌ فِى الوَاقِعْ !

الـوزيـــر : (مُتَهللاً) أَرَأَيْتَ يامَوْلاى ؟
الواقِعُ ساطِعْ !

الحاكـم : حَقاً ؟ ما مَعْنَاهُ إذَنْ ؟

الـوزيـــر : مَعْنَىَ مَاذَا ؟

الحاكـم : هَذِى الفَلْسَفَةِ الجَوْفاءُ !

الـوزيـــر : (إلى معروف) مَعْنَاهَا مَاذَا يا مَعْرُوفْ ؟

مـعـروف : مَوْلَاىْ ..
الواقعُ قُلْتُ لَكُمْ غَيْرُ الوَاقِعْ ..

الحاكم : (ينهره بشدة) قُلْ ما عِنْدَكَ دُونَ تَفَلْسُفْ

معروف : مَوْلَايَ لِكُلِّ مَقَامٍ أَدَبٌ وَمَقَالْ
وَأَنَا أَعْمَلُ فِي هَذَا القَصْرِ أَدِيباً .. فاغْفِرْ لي !

الحاكم : قُلْ ما عِنْدَكْ

معروف : الفَارِقُ بَيْنَ المَوْجُودِ وغَيْرِ المَوْجُودْ
لَا شَأْنَ لَهُ بالجَوْهَرِ أو بالمَاهِيَّةْ
لَكِنْ بِمَدَى رَصْدِ العَيْنْ
مِقْدَارَ تَشَخُّصِهِ فِي دُنْيَا الوَاقِعْ
فَإِذَا أَغْفَلَت العَيْنُ تَشَخُّصَ مَوْجُودٍ أَوْ رَصْدِهْ
لَمْ يَعُدْ الوَاقِعُ مَوْجُوداً
وإِذَنْ فالقَمْحُ الضَّائِعْ
مَوْجُودْ

الوزير : مَرْحَى مَرْحَى !

الحاكم : القَمْحَ إِذَنْ مَوْجُودْ ! ؟

معروف : الوَاقِعُ يا مَوْلَايْ ـ

الحاكم : (يصرخ) يَكْفِي هَذَا ..

الوزير : (إلى معروف) شُكْراً لَكْ .. (يغمزه) إذهب للصَّرافْ ..
(لِلْحَاكِمْ) القَمْحُ وَفِيرٌ يا مَوْلَايْ !

عارف : لَكِنِّي فَتَّشْتُ وَنَقَّبْتُ ..
قَلَّبْتُ الأَرْضَ وَدَاهَمْتُ الأَكْواخْ
خَالَطْتُ الفَلَّاحِينَ وصَاحَبْتُ التُّجَّارْ !
إعْذُرْني يا مولاي ! فَأَنَا جَاسُوسٌ لا يُخْطِئُ
لَوْ كَانَ لَدَيْهِم حَبَّةُ قَمْحٍ وَاحِدَةٍ لَعَرَفْتْ ..

الـوزيــر : إسْمَعْ يا عَارِفْ ..
هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ نُعَاقِبُ مَنْ يَحْمِلُ أَنْبَاءً مَكْذُوبَةً ؟

عـــارف : لَكِنِّي صَادِقٌ ..

الحاكـم : مَا رَأْيُكَ فِيمَا أَفْتَى مَعْرُوفٌ ؟

عـــارف : مَعْرُوفٌ لا يَعْرِفُ شَيْئاً ..

مـعـروف : لَوْ كَانَ كَلامُكَ ذَا وَزْنٍ فِي دُنْيَا الوَاقِعْ
لانْتَهَتْ الدُّنْيَا وَحَيَاةُ النَّاسْ
إذْ كَيْفَ يَعِيشُ الفَلاَّحُونَ إذَا ضَاعَ القَمْحْ ؟

الحاكـم : مَعْقُولٌ !

مـعـروف : بَلْ كَيْفَ يعيشُ الناسُ هُنَا وهُنَاكْ ؟

عـــارف : أَنَا أَحْكِي عَنْ مَحْصُولِ المَوْسِمِ هَذَا
لاَ عَنْ مَخْزُونٍ سَابِقْ

مـعـروف : أَسَمِعْتُمْ هَذَا ؟
هَلْ أَدْرَكْتُمْ سِرَّ المَخْزُونْ ؟

عـــارف : مَوْلاَيَ .. الصَّبْر ..
الأمْرُ جليلٌ لاَ يَتَطَلَّبُ فَلْسَفَةً جَوْفَاء
أَوْ يَحْتَاجُ نِفَاقاً ..
في بِضْعَةِ أَيَّامٍ يَنْفَدُ مَخْزُونُ القَمْحِ مِنَ العَامِ المَاضِي
وَتَحُلُّ الكَارِثَةُ الصَّمَّاءُ بِمِصْرِ
وَبِقَصْرِ الحَاكِمْ -
سَتَكُونُ مَجَاعَةْ !

معروف : إلاَّ إنْ أخْرَجْنَا القَمْحَ المَخْزُونَ وَلاَ تُبْصِرُهُ عَيْنُكْ
قَمْحُ العَامِ الحَالِي ..

عارف : قَمْحُ العَامِ الحَالِي أَكَلَتْهُ الغِرْبَانْ !

الحاكم : ماذا ؟

عارف : هذا ما يَحْكِيه زُهَيْر
وَهُوَ التَّفْسِيرُ الأَوْحَدْ

الوزير : يَحْكِيه زُهَيْر ؟

عارف : هُوَ يا مَوْلاى نَقِيبُ الزُّرَّاعْ !

الحاكم : أَنَقِيبُ الأَشْرَافِ هُنَاكْ ؟

عارف : بَلْ سَيِّدُ زُرَّاعِ الإِقْلِيمْ !

الحاكم : وَمَتَى كَانَ لَهُمْ سَيِّدْ ؟

عارف : لاَ أَدْرِى يَا مَوْلاَىْ ..
لَكِنِّى جَاسُوسٌ لا يُخْطِىءُ ..

الوزير : هَذَرٌ .. هَذَيَانٌ .. لاَ يُعْقَلْ !

عارف : إنَّ زُهَيْراً يا مَوْلاَىَ رَقِيقُ الحَالْ ..
لاَ يَزْعُمُ جَاهاً أَوْ سُلْطَانْ
بَلْ لاَ يَمْلِكُ أَنْ يَزْعُمْ
لَكِنَّ النَّاسَ تُحِبُّهْ

الحاكم : لَكِنَّكَ قُلْتَ نَقِيبْ !

عارف : أَنَا أَعْنِى المَنْطِقَ والحِكْمَةْ

الحاكم : أَتُرَاهُ إِذَنْ شَيْخٌ يَهْدِيهِمْ فِى الأَزَمَاتْ ؟

عارف : يَا مَوْلاَىْ !
قَدْ تَدْهَشُ مِنْ هَذَا .. لَكِنَّ زُهَيْراً فَلاَّحٌ شَابّ

أَوْ قُلْ فِى مُنْتَصَفِ العُمْرِ ..

الوزيـــر : (**يثب فى فرح كأنه اكتشف شيئاً**)
أنا أَلمحُ خَيْطَ مُؤَامَرَةٍ بِمَعْقُودَ الأَطْرَافْ ...
هَذَا وَاضِحْ .. (**يسير على المسرح متفكراً**)
مَنْ أَشْرَكَهُ الخَائِنْ ؟ هَلْ تَعْرِفُ يا .. مَعْرُوفْ ؟

عـــارف : عَفْواً مَوْلاَىْ .. لَمْ يُشْرِكْ أَحَداً ..

الوزيـــر : أُسْكُتْ أَنْتْ !

مـعـروف : الوَاقِعُ أَنَّ الخُطَّةَ وَاضِحَةُ الأَبْعَادْ
فَزُهَيْرُ يُخْفِى القَمْحَ وَيَزْعُمُ أَنَّ الغِرْبَانْ (**يضحك**)
الغِرْبَانْ ؟ هَلْ هَذَا مَعْقُولٌ يا مَوْلاَىْ ؟
فِى عِلْمِى الثَّابِتْ .. وإحَاطَةِ ذِهْنِى بالوَاقِعْ
أَنَّ الغِرْبَانَ تَعَافُ القَمْحْ ..
هَلْ يَجْهَلُ إِنْسَانْ
أَنَّ الغِرْبَانْ
لاَ تَهْوَى إلاَّ الجِيفَةْ
وَتُحِبُّ لُحُومَ الطَّيرِ وأَحْشَاءَ الحَيَوانِ !
أَمَّا القَمْحْ ـ (**يضحك**) ها ها ها ..
لاَ يَا مَوْلاَىَ النَّابِهْ ! يَا كَاتِمَ سِرِّ السُّلْطَانْ !
المَثَلُ الشَّعْبِىُّ يَقُولْ :
« بِيَانْ الكِذْبْ مِنْ فُمُّهْ
وإيش جَابْ الغُرَابْ لُمُّهْ ! »

الوزيـــر : بَيْتُ قَصِيدِى ! لَكِنْ
مَاذَا نَفْعَلُ بِزُهَيْر ؟

الحاكـم : لا تَسْبِقْ الأَحْدَاثَ يا وَزِيرِى !
بَدَأْتُ أَفْهَمُ الإِطَارْ
والحَقُّ أنى أُرِيدُ أَنْ أَرَى زُهَيْر

الوزيـر : رَأْسُ الفِتَنْ !
وَرُبَّمَا يَكُونُ قُرْمُطِياً ..
أو كَافِراً أو هَمَجِياً .. **(بعد تفكير ـ يقترب من الحاكم)**
والمَوْتُ مِنْ ثَمَّ عِقَابُهْ !

الحاكـم : تُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَهُ حَتَّى يَعُودَ القَمْحُ لِلْحُقُولْ ؟
حَتَّى يَعُودَ المَالُ لِلْخَزَائِنْ ؟
حَتَّى تَعُودَ مِنْحَةُ السُّلْطَانْ ؟
لَبِئْسَ ما نَصَحْتَ يا وَزِيرْ
أَخْطَأْتَ فى التَّفْكِيرِ والتَّدْبِير
الحَالُ لا يَحْتَمِلُ الخَطَأْ
وأَنْتَ تَعْرِفُ المَصِيرْ
لَقَدْ أَمَرْتْ ـ

الوزيـر : **(يهمس له)** لا تَعْزِلْنِى يا حَاكِمَ بُلْدَانِ اللّه !
أَرْجُوكَ تَمَهَّلْ ..
فَأَنَا عَوَّضْتُكَ فى العَامِ المَاضِى
عَمَّا فَعَلَ الأَنْذَالْ ..
وَدَفَعْتُ إِلَيْكَ الأَمْوَالْ .. **(تتغير لهجته إلى التهديد)**
وَلَدَىَّ مَمَالِيكُ ذَاتُ وَبَالْ ـ

الحاكـم : عَزْلُكَ لَمْ يَأْتِ أَوَانُهْ !
وإِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَرَى زُهَيْر ..

يَا عَارِفُ الأَمِينْ
إذْهَبْ وقُلْ لَهُ .. إنَّ الطَّرِيقَ آمنةْ !
أُطْلُبْ إليْهِ أَنْ يَزُورَنَا
وَسَوْفَ نُكْرِمُه ..

عـارف : سَمْعاً وَطَاعَةْ !

الحاكـم : يا أَمِينَ الأُمَنَاءْ !
نَعْقِدُ اللَّيْلَةَ حفْلاً .. بَلْ غَداً ..
أُدْعُ كُلَّ الأُمَرَاءْ
وَحَرِيمَ القَصْرِ .. كُلَّ الكُبَرَاءْ !

(يشد الانتباه إليه)

وَأشِيعُوا فى ثَنَايَا اللَّيْلِ رَنَّاتِ النَّغَمْ
وَأدِيرُوا الخَمْرَ حَتىَّ يَنْطِقَ العَدَمْ !

الأمـين : سَمْعاً وطَاعَةْ !

(يتجه عارف إلى الخروج ـ بينما يتهامس الوزير ومعروف)

الحاكـم : أُرِيدُ أَنْ أُجْزِلَ فى عَطَائِهْ
إذْ رُبَّمَا اشْتَرَيْتُه بالمالْ
وَرُبَّمَا عَيَّنْتُهُ فِى مَنْصِبٍ هُنَا
حَتَّى يَرَى الأُمورَ مِنْ عُيُونِنَا
فإنَّنِى أَشُمُّ رَوْحَ فِتْنَةٍ
والحَالُ لا يَحْتَمِلُ الفِتَنْ !

إظـلام

* * *

المشهد الثالث

الــــراوى : وبينما مَضَى الجميعُ يمكرون
باتَ الوزيرُ ساهراً
أخافَه ما أنذرَ الأَمِيرْ
ولم تُفِدْهُ حِكْمَةُ الأَدِيبْ
لَكِنَّهُ شَرِيكُهُ وَصَاحِبُهْ
رَفِيقُهُ فِى غَابَةِ السُّلْطَانْ
وَصِنْوُهُ فى مِحْنَةِ الزَّمَانْ

صوت ١ : لَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَرِفْ آثامَهُ

صوت ٢ : لَمْ يَدْفَعْ الأَموالَ مِثْلَهُ

الــــراوى : هذا الأَدِيبُ جُرْمُهُ أَشَدّ
إنْ لَمْ يَكُنْ قد دَفَعَ الأموالْ
فَإنّه يُزَيِّفُ الوَقَائِعْ
وَيَشْتَرِى الزَّمانَ بالكَذِبْ !

صوت ١ : أليسَ فى جُعْبَتِهِ سِوَى الكَلاَمْ ؟

صوت ٢ : ما أَكْثَر الذينَ عِنْدَهُمْ كَلاَمْ
مَا أَرْخَصَ الكَلاَمْ !

الــــراوى : يا صاحِبَىَّ هذه أُكْذُوبةُ العُصُورْ
وَحَسْبُنا ما قالَه التاريخُ فالكلامُ فِكْر !
وَكُلُّ فِكْرةٍ يصوغُها إنسانْ

تَحْيَا عَلَى الزَّمَانْ
تَرْفَعُ قَدْرَهُ .. تُجِلُّهُ
أَوْ أَنَّهَا تَسْتَعْبِدُه !

صوت ١ : وَهَلْ يَقُودُ الفِكْرُ لِلْمَجَاعَةْ ؟

صوت ٢ : لَرُبَّمَا تَقْصِدُ مَكْرَ السُّوءْ ؟

الـــراوى : فَلْنُكْمِلْ الحِكَايَةْ !
بَاتَ الوَزِيرُ سَاهِراً
لَكِنَّهُ ما إِنْ بدَاَ الصَّبَاحْ
حَتَّى أَتَاهُ عارفٌ وفى يَدِهْ
شَخْصٌ كثيراً ما رآهُ فى دَهَالِيزِ القُصُورْ !

(عندما يضاء المسرح – نرى الوزير متكئاً على أريكة وعارف داخلاً مع الخصى) .

الوزيـــر : **(متزعجاً)** أنتَ هُنا ؟
ماذا تريدُ أيها الحَقِيرْ ؟
وما الذى تَبْغِيهِ مِنْ مَعْرُوفْ ؟
أَلَمْ يَكُنْ زَمِيلَكَ الأَمِينْ ؟
وما الذى تَكْسِبُه مِنْ هَدْمِ كُلِّ شَىْء ؟

عـــارف : مولاىَ صبراً فأنا خادمُك المُطِيعْ
أطمعُ فى رِضاكَ عَنِّى
وَأَحْتَمِى فى صَوْلَتِك ..
لَكِنَّ أحداثَ الزَّمنْ
تَضْطَرُّنى لِلفكْرِ والتَّدْبِيرْ ..

الوزيـــر : إِذْهَبْ وعُدْ لى بِزُهَيْر

عـــارف : مَوْلَاىَ هذا دُرْشَاهْ

الوزيـــر : مَنْ ؟ دُرْشَاهُ ؟ أذكُر أنّى قَدْ رَأَيْتُهْ
لَكِنْ أَجِبْنِى .. مَنْ دُرْشَاهْ ؟

عـــارف : أَحَدُ الخِصْيَانْ !

الوزيـــر : عَجَباً لَكَ ماذا أفعلُ بالخِصْيَانْ ؟

عـــارف : مولاىَ عِنْدِى خُطَّةْ ..
لاَ بَلْ مَكِيدَةٌ مُؤَكَّدَةْ

الوزيـــر : لَكِنَّكَ أَخْطَأْتَ المَقْصِدْ !

عـــارف : مَوْلَاىَ أَنَا جَاسُوسٌ لا يُخْطِىء
لا أطمعُ إلاّ فى عَفْوِكْ !

الوزيـــر : قُلْ ما عِنْدَكْ !

عـــارف : مولاىَ .. عَلِمْتُ مِنَ الأَنْباء السِّرِّيَّةْ
أنَّ زُهَيْراً يَعْشَقُ مَحْظِيَّةْ

الوزيـــر : (**يهتم فجأة**) من مَحْظِيَّاتِ الحَاكِمْ ؟

عـــارف : صَبْراً يا مولاىْ ..
مِنْ عِدَّةِ أَعْوامٍ كَانَا فِى نَفْسِ القَرْيَةْ
وارتبطَ اسمُ زُهَيْرٍ بالجاريةِ الحَسْنَاء
لَكِنَّ الحَاكِمَ أَرْسَلَ يَطْلُبُها ..

الوزيـــر : أذكُر ذَلِكْ .. يَا لَكَ من إبْلِيسْ !

عـــارف : إسْمُ المَحْظِيَّةِ مَايْسَةْ
وَهْىَ إِذَنْ طُلْبَتُنَا
نُحْضِرُها مِنْ قَصْرِ الحَاكِمْ
لِتُغَنِّى وَسْط قِيَانِ الحَفْلْ
فَإذَا شَاهَدَهَا الْفَلاَّحْ ـ

الـوزيــر : لَكِنْ كَيْفَ؟

عــارف : هذا هو الخَصِيُّ يا مَوْلَاىْ
هُوَ الذِّى يَدْخُلُ فى الحَرِيمْ
وَيَعْرِفُ الكَبِيرَ والصَّغِيرْ
يُحْضِرُهَا سِرًّا وَلَكِنْ فى أَتَمِّ زِينَهْ
حَتَّى إذا غَنَّتْ بَلَابِلُ القِيَانْ
وانْسَابَتْ الأَلْحَانْ
عَادَتْ لَهَا الأَشْجَانْ
فَأَسْمَعَتْ وأَطْرَبَتْ
وَعِنْدَهَا يَعْرِفُها الفَلَّاحْ
نُسَهِّلُ الأَمْرَ لَهُ فَيَخْتَلِى بِهَا
فَإِنْ حَكَى لَهَا أَسْرَارَهُ
فَكُلُّنَا ـ يا سَيِّدِى ـ آذانْ!

الوزيــر : قَدْ يَتَّفِقَانِ على الإِنْكَارْ!
عَجَباً هَلْ تَأْمَنُ لِلْمَرْأَةْ؟
المرأةُ مخلوقٌ هَشّ
يُصْغِى للقَلْبِ ونَجْوى الحُبِّ ولا يَحْفِلُ بالمَنْطِقْ!
مَنْ يَحْمِلُ قَلْباً عَاطِلْ
مِثْلِى فَهْوَ الكَامِلْ!
كَلاَّ.. مَشْرُوعكَ فَاشِلْ!

عــارف : الخُطَّةُ أَنْ نُغْرِيَهَا بالأَمْوالْ
بالفِضَّةِ والذَّهَبِ الأَصْفَرْ
فَعَلَى أَىِّ الأَحْوَالْ ـ
هِىَ مَحْظِيَّةْ!

الوزيــــر : لا يا عارفْ.. **(فى تأمل عميق)**

هِيَ لَيْسَتْ كالمَحْظِيَّاتْ..

لَيْسَتْ كالرُّومِيَّاتِ وباقِى مَحْظِيَّاتِ القَصْرْ !

هِيَ فَلاَّحَةْ

وأنا أعْرِفُ فَلاَّحِي هَـذِى الأرْضْ

فَأَنا مِنْهُمْ ! كَلاَّ !

عـــارف : مَوْلاَىَ إِنَّها مِنَ الحَرِيمْ !

الوزيــــر : فَلاَّحةٌ مِثْلُ الجَمِيعْ !

.. مِثْلُ الشَّجَرْ

لَهُمْ جُذُورٌ تَنْتَمِى لِلطِّينْ

وَيَصْمُدُونَ لِلّرياحِ والمَطَرْ

لَرُبَّما تَسَاقَطَتْ أوراقُهُمْ

أو انْحَنَتْ هَامَاتُهُمْ

لَكِنَّهُمْ

مثلُ الغُصُونْ

لا يُكْسَرُونْ !

عـــارف : مَوْلاَىْ

الوزيــــر : **(مقاطعاً)** صَمْتاً !

المالُ لَنْ يَكْفِى .. وَلَنْ يَكْفِى الذَّهَبْ

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ دافعٌ قَوِىْ

دَعْنِى أُفَكِّرْ ـ

عـــارف : مَوْلاَىَ لَقَدْ فَكَّرْتُ أَنَا !

الوزيــــر : **(مقاطعاً)** إذْهَبْ إلى زُهَيْر

وأَنتَ يا خِصِيَّ

فَلْتَأْتِنِى بِمَائِسَةْ قَبْلَ المَسَاء
أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مِنْهَا سِرَّهَا
وسوفَ أَنْثُرُ الكِنَانَةْ
وأَنْتَقِى السِّهَامْ .. هَيَّا

عـــارف : الإِذْنَ إِذَنْ يَا مَوْلَانَا (يمد يده طلباً للنقود)

الوزيــر : خُذْ أَنْتَ وأَنْتَ (يلق إليهما بالمال)

عـــارف : أَقْصِدُ بَعْدَ زَوَالِ الغُمَّةْ
نَحْنُ رِجَالُكَ يا مَوْلَاىْ ..

الوزيــر : أَنْتُمْ ؟

عـــارف : أَقْصِدُ نَفْسِى يا مَوْلَاىْ !

الوزيــر : هَلْ تَبْغِى مَنْصِبَ مُحْتَسِبٍ أو قَاضْ ؟

عـــارف : وَأُبَدِّلُ جِلْدِى ؟
كَلاَّ يَا موْلَاىْ ..
فَأَنَا جَاسُوسٌ مُحْتَرِفٌ يُخْلِصُ لِلْمِهْنَةْ !
أَنَا لَا أَبْغِى إلاَّ أَنْ أُصْبِحَ شَيْخَ جَوَاسِيسِ الحَاكِمْ !

الوزيــر : إِذَا ظَلَلْتُ فِى مَكَانِى
وَظَلَّ حَاكِمُ الدِّيَارِ فى مَكَانِه ..

عـــارف : هَذَا وَعْدٌ يا مَوْلَاىْ !

الوزيــر : هَيَّا إِذَنْ .. هَيَّا .. (يخرج عارف والخصى)

(يدخل رئيس الحرس خارجاً من وراء الستار).

الوزيــر : تَعَالَ يا عِمَادْ !
لَقَدْ سَمِعْتَ كُلَّ شَىْء

إذْهَبْ مَعَ الجُنُودِ قَبْلَ عارفٍ وفَتِّشْ الحُقُولْ !
لَا بُدَّ أَنْ تَكْشِفَ لِى السِّرّ
وإنْ عَرَفْتَهُ فلا تَبُحْ بِهِ إلاَّ لِمَعْروفٍ وَلِى !
حَذَارِ أَنْ يَسْبِقَكَ العَارِفْ !
أُريدُ أَنْ أرَى القَمْحَ هُنَا مِنْ قَبْلِ حَفْلِ الغَدْ
هَيَّا وَلاَ تُبْطِىءْ !

عــمــاد : هَلْ أَسْتَعِينُ بالجُنُودِ مِنْ لَدَى الأَميرْ ؟

الــوزيــر : أَلَسْتَ شَرْكَسِيًّا يا عِمَادْ ؟
لَا تَسْتَعِنْ إلاَّ بِحُرَّاسِى فَقَطْ
مَا دُمْتَ تَرْأَسُ الحَرَسْ !
أَسْرِعْ وعُدْ لِى بالخَبَرْ !

(يخرج عماد رئيس الحرس)

أَخَافُ مِنْ مُؤَامَرَاتِ عَارِفٍ
فَإِنَّهُ يَغَارُ مِنْ مَعْرُوفْ !
وَحِينَ أَعْرِفُ الخَبِىءَ — (يضحك فى خبث)
سَأَعْزِلُهْ !
لَدَىَّ خُطَّةٌ مُضادَّةْ
لَدَىَّ جُنْدٌ حَاضِرَهْ !
وَحِينَ يُعْزَلُ الذى أَمْقُتُهُ — (يضحك فى فرح طاغ)
فَسَوْفَ لَا شَكَّ يُوَلىَّ !
أُقَدِّمُ القَمْحَ أنا مَكْرُمَةً ..
فأصبح الوالى الجديد !

(إظــلام)

المشهد الرابع

الـــراوى : القريةُ تبعدُ يوماً
وزهيرٌ يرقبُ يَوْمَهْ
عَلَّمهُ التاريخُ كما عَلَّمَ أَجْدَادَه
أنَّ جُنُودَ الحَاكِمِ لا تَتَأَخَّرْ

صوت ١ : لَا يَجْدِى الجُنْدُ إذا شَحَّ القُوتْ

صوت ٢ : لَا سُلْطَانَ بِغَيْرِ الجُنْدْ

الـــراوى : لَكِنَّهُ يَعْجَبُ أنَّ الجُنْدْ
وَهُمْ حُمَاةُ الدَّارْ
مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الدَّارْ!
أَسْمَاؤُهُمْ تُركيَّةْ
أَوْ أَرْمَنِيَّةْ
أَوْ شَرْكَسِيَّةْ
وَكُلُّ إِقْطَاعِيَّةْ
لَهَا أَمِيرْ
وَجُنْدُهَا على اخْتِلافِهِمْ
لَهُمْ هَدِيرْ

صوت ١ : وَلَمْ يَكُنْ زُهَيْرُ وَحْدَهْ

صوت ٢ : كانَ لديهِ النَّاسْ

الـــراوى : كانَ زُهَيْرٌ ذَلِكَ الصَّباحَ يَسْتَعِدُّ للرَّحِيلْ

وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ الصَّبَاحَ وَحْدَهُ
كَانَتْ تُؤَانِسُهُ
سَمْرَاءُ بِنْتُ عَمِّهِ
صَبِيَّةٌ تُشَارِكُه
فَرْحَةَ قَلْبِهِ
لَكِنَّهُ مُنْذُ رَحِيلٍ مَائِسَهْ
وَهَجْرٍ مَائِسَهْ
يَكَادُ يَخْشَى المَرْأَهْ

(يعود الضوء فنرى زهير وسمراء فى الحقل)

زهـــير : تَأَخَّرَ الزَّبَانِيَةْ !
سـمراء : قُلْتَ لَكَ اهْرَبْ !
زهـــير : لَا مَهْرَبَ مِنْهُمْ يا سَمْرَاءْ
فالجُنْدُ عُيُونٌ وأُنُوفٌ ومَخَالِبْ
لَا مَهْرَبَ مِنْهُمْ مَهْمَا حَاوَلْتْ
سـمراء : قَدْ يُلْصِقُونَ بِكَ التُّهَمْ
وَلَرُبَّمَا حَمَلُوكَ لِلْقَصْرِ الكَبِيرْ ـ
وَلَرُبَّمَا حَمَلُوكَ لِلْحَاكِمْ !
زهـــير : سَمْرَاءُ إِنَّ وَالِدِى عَلَّمَنِى
أَلَّا يَضِيقَ صَدْرِى
وَعِنْدَمَا وَرِثْتُ مِنْهُ الكَدَّ والعَرَقْ
أَصْبَحْتُ أَدْرِى قَدَرِى
وَقَدْ يَكُونُ الحَاكِمُ الجَدِيدْ ـ
سـمراء : لَا يا زُهَيْرُ كُلُّهُمْ سَوَاءْ

فَكُلُّهُمْ لَدَيْهِ جُنْدْ
وَكُلُّهُمْ يَحْكُمُ بِاسْمِ اللّه !
العادِلُ والظَّالِمْ
والقَاعِدُ والقَائِمْ
والسَّاهِرُ والنَّائِمْ !

زهـــير : لَكِنَّ حَاكِمَنَا الجَدِيدْ ـ

ســمراء : لَئِنْ تَغَيَّرَ الوُلاَةْ
فَهَلْ تَغَيَّرَ الزَّبَانِيَهْ ! ؟

زهـــير : سَمْرَاءُ ! أَسْرَارِى لَدَيْكِ كُلُّهَا
الآنَ يأتى الجُنْدْ
وَيَحْمِلُونَنى
وَرُبَّما سُجِنْتْ
وَرُبَّما عُذِّبْتْ
وَرُبَّمَا قُتِلْتْ

ســمراء : أَبْقَاكَ اللهُ زُهَيْرْ

زهـــير : (**مستمراً**) سِرِّى الأَكْبَرُ ـ حُبِّى لِلنِّيلِ وأَهْلِ النِّيلْ !
وَلِكُلِّ سَنَابِلِ قَمْحِ النِّيلْ !
وَلِكُلِّ يَدٍ رَوَّتْ حَبَّاتِ الأَرْضِ بِمَاءِ النِّيلْ !

ســمراء : فَلْتَبْقَ إِذَنْ فِى الأَرْضْ
إِهْرَبْ !

زهـــير : لاَبُدَّ مِنَ القَدَرِ المَحْتُومْ
لاَبُدَّ مِنَ الرِّحْلَةْ !

ســمراء : هِىَ مَا أَخْشَى

زهـــير : تَخْشَيْنَ الرِّحْلَةْ ؟

سمراء : أَخْشَى القَصْرْ !

زهـــير : ماذا دَهَاك صَبِيَّتِي ؟

سمراء : مَازِلْتَ تَذْكُرُ مَائِسَهْ !

زهـــير : مَنْ ؟ مَائِسَهْ ؟

سمراء : أرجوكَ .. لا يُجْدِي الخِدَاعْ

زهـــير : خِدَاعُ مَنْ .. صَغِيرَتِي ؟

سمراء : مَازِلْتَ تَهْوَاها وَتَبكِي فَقْدَهَا
وَفَعَلْتَ هَذَا كُلَّهُ

زهـــير : (**مقاطعاً**) لِيَعْرِفَ الحُكَّامُ أَنَّنَا بَشَرْ

سمراء : بَلْ كَيْ تَرَى الحَسْنَاء فِي قَصْرِ الأَمِيرْ
بَلْ رُبَّمَا عَادَتْ إِلَيك !
مَحْظِيَّةٌ غريبةُ الأَحوالْ
لَمْ يَسْبِهَا الأَمِيرُ فِي قِتَالْ
ولا اشْتَراهَا يَوْمَهَا بالمالْ
لَكِنَّهَا سَعَتْ إليْه رَاضِيَهْ !
الخَائِنَهْ !

زهـــير : أَنَا أَذْهَبُ حتَّى يَعْرِفَ أهلُ القَصْرِ وَمَنْ وَلاَّهُمْ
بَلْ حَتَّى يَعْرِفَ حاكمُ مِصْر
ما يَجْرِي فِي مِصْر !

سمراء : ذَرِيعةٌ مكشوفَةْ !
فَلَيْسَ يُجْدِي العِلْمُ إنْ كَانَ البِنَاءُ فَاسِداً !
لا يا زهيرُ خابَ ظَنِّي فِيكْ !

زهـــير : سمراءُ .. لا انتصارَ دُونَ مَوْقِعَةْ !

سـمـراء : وَقَدْ كَسِبْنَا المَوْقِعَةْ

زهـيـر : بَلْ تِلْكَ جَوْلَةٌ مُوفَّقَةْ

وَبَعْدَهَا لَابُدَّ مِنْ جَوْلَاتْ !

سـمـراء : تَظُنُّنِى صَغِيرَةً

لَكِنَّ عِنْدِى مَنْطِقَ الأَشياءْ !

أَمَا وَثِقْتَ بِى

وَبُحْتَ لِى بِكُلِّ شَىْءْ ؟

(تكاد تبكى)

قَدْ كُنْتُ أرجو أَنْ تَكُونَ لِى

لَكِنَّ هَذَا لَمْ يَعُدْ يُهِمّ ..

(تكتم حزنها وتسير فى قلق)

فَإِنَّنِى أَخْشَى عَلَيْكَ إِنْ ذَهَبْتَ أَنْ تَقَعْ

فالناسُ فى تِلْكَ القُصُورِ يَمْكُرُونْ

وَلَيْسَ مَكْرُهُمْ يَسيِرْ !

والفَخُّ فِى القَصْرِ الكَبِيرْ

إِنْ يَفْغَرْ الفَكَّيْنِ يَبْلَعُ الكَبِيرَ والصَّغِيرْ !

زهـيـر : سمراءُ يا صَبِيَّتى الجَمِيلَةْ !

إِنْ كَانَ يُرْضِيكِ الهَرَبْ

(**يضحك**) فَلَأَخْتَبِىءْ ..

وَأَيْنَ أَخْتَبِىءْ ؟

فى قَلْبِكِ الكَبِيرْ ؟

(**فى سعادة**) تَغَارُ سَمْرائِى ؟ ومِنْ مَنْ ؟ مَائِسهْ ؟

لَكِنَّها الأَحْلَى الأَرَقّ !

وَتَبْتَغِى سَمْرَاءُ عَاشِقَ الحُقُولْ ؟

كَيْفَ إذَنْ وَبَيْنَنَا عُمْرٌ طويلْ؟
لَقَدْ تَخَطَّيْتُ الشَّبَابْ ـ
وَأنْتِ فِى عُمْرِ الأَمَلْ !

سمراء : أَلاَ تُرِيدُ مَائِسَهْ؟

زهير : سَمْراءُ إنَّ كُلَّ مَا جَرَى
يَفْصِلُ بَيْنَنَا

سمراء : ألا تُريدُ أنْ تَرَاها ؟

زهير : تَبْغِينَ أَنْ أَهْرَبَ حَقاً ؟ فَلْيَكُنْ !

سمراء : مَاذَا ؟

زهير : سَنَهْرَبْ !
هَيَّا بِنَا !

سمراء : مَنْ هَؤُلَاءْ !

(يدخل عماد رئيس الحرس ومعه طابونى ومقرور وآخرون ـ وبعض الجنود ـ عندما تراهم سمراء تتراجع مع زهير إلى أقصى اليمين وتسأل « من هؤلاء » دون إجابة بينما يقف عماد ويسأل أحد الجنود نفس السؤال « من هؤلاء »)

عماد : **(للجندى)** مَنْ هَؤُلَاءْ ؟

الجندى : لا عِلْمَ لِى يا سَيِّدى !

عماد : **(إلى زُهير وسمراء)** مَنْ أَنْتُما ؟

زهير : أنا زُهير.. وهذه سَمْراءْ !
ماذا حَدَثْ ؟

عماد : **(فرحا)** آه ! من كنتُ أبحثُ عنه !

كُلُّ الخُيوطِ تَنْتَهى هُنا !
ذَرَعْتُ أَرْضَ القَمْحِ طِيلَةَ النَّهارْ
فَلَمْ أَجِدْ إلاَّ كَلاَماً فَارِغاً
عَنِ الطُّيورِ والصُّقُورِ والنُّسُورْ !

زهـــير : لَكِنْ أَلَمْ تَسْمَعْ عَنِ الغِرْبَانْ ! ؟

(يضحك مقرور وطابونى)

عـــماد : نعم .. نعم ! لكننى وجدتُ هذا الشخصْ

زهـــير : هذا هو الخَبَّازْ !

عـــماد : نعم نعم .. وكانَ يخبزُ الفَطَائِرْ !

طــابونى : بَلْ إنها فَطِيرَةٌ واحدةٌ !

عـــماد : جِسْمُ الجَرِيمَةْ !
وَقَدْ تَحَفَّظْنَا عَلَيْها ..
فَإنَّهَا أَهَمُّ مُسْتَنَدْ !

زهـــير : حَذَارِ أَنْ يَأْكُلَهَا أَحَدْ !
فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الحِنْطَةْ !
إذْ أَنَّنَا لاَ قَمْحَ عِنْدَنَا !

عـــماد : لَكِنَّ هذا الشَّخْصَ ذَاقَها !

مـــقرور : قَضَمْتُ مِنْها قَضْمَةً !
يَالَيْتَنِى ما ذُقْتُها !

(يدخل جندى فى حالة فرح وهياج)

الجنـــدى : وَجَدْتُ هذهِ فى مِعْطَفِ العَجُوزْ !

عـــماد : (متهللاً) ماذا ؟ حَبَّةُ قَمْحْ ؟

مـــقرور : (صائحاً) إنه لَيْسَ مِعْطِفى !

عـــماد : بَلْ مِعْطَفُكْ ..

يا أَيُّها الجُنودُ ..
كَبِّلُوا كُلَّ مُتَّهَمْ ..
وَخَاصَةً هذا الزُّهَيرْ ..
خُذُوا هاذينِ أَوَّلاً ..

مـقـرور : أنا لستُ مُتَّهَماً ..
لَرُبَّمَا كَانَتْ شَعِيراً
لَرُبَّمَا كَانَتْ حَصَاةً أو سِوَاها ؟
مِنْ أَيْنَ تَأْتِينِى الغِلاَلْ ؟

طـابونى : أنا لَسْتُ مُتَّهَماً ..
هذى الفطيرةُ من نَوىَ المِشْمِشْ !

عـمـاد : هَيَّا ..

(يخرج الجنود مع مقرور وطابونى والآخرين ، بينما يدخل عارف وحده)

عـارف : أهلاً وسهلاً بِعِمادْ !
أهلاً وسهلاً بزعيمِ الحَرَسِ !

عـمـاد : **(غير عابىء بعارف ــ إلى الجنود)** اقبضوا عليه .. كَبِّلُوه !

عـارف : لا لا .. هذا زُهَيرٌ ضيفُ سُلْطانِ البِلاَدْ ..
أما سَمِعْتَ عَنْ وَلِيمةِ العَشَاء ؟

عـمـاد : نَعَمْ سَمِعْتْ ..
لَكِنَّ كُلَّ ما رَأَيْتْ ..
أَقْصِدُ كُلَّ ما سَمِعْتْ ..
يُشِيرُ لِلَّعِينِ هَذَا !

عـارف : لَكِنَّهُ ضَيْفُ الأَمِيرْ **(بنظرة ذات مغزى)** والوزيرْ !

بَلْ إِنَّهُ ضَيْفِى أَنَا ..
هَيَّا بِنَا يا أَيُّهَا الضَّيْفُ الكَرِيمْ !
(**يلمح سمراء**) وهذه إذن .. ما أَجْمَلَهَا !
لَابُدَّ أَنَّها سَمْرَاء !
يُقَالُ إِنَّها قَرِيبَتُكْ ؟

زهـــــير : أَذَاكَ تَحْقِيقٌ إِذَنْ ؟
إنْ كُنْتُ مَدْعواً فَأَرْجُوكُمْ .. كَفَى ..

ســـمراء : وَهَلْ سَأَمْضِى مَعَكُمْ ؟

عـــارف : يَالَيْتَ ! فإنَّ الدَّعْوةَ مَحْدُودَةْ
وَتَخُصُّ زُهَيْراً وَحْدَهْ ..

ســـمراء : مَا أَكْرَمَكُمْ فِى قَصْرِ الحَاكِمْ ..

عـــارف : حَقاً حَقاً .. هَيَّا هَيَّا -

ســـمراء : (**ساخرة**) حِينَ تَعُودُ مِنْ وَلِيمَتِكْ ..
وَسَوْفَ تَأْتِى ظَافِراً ..
(**تغلبها العبرات**)
لا .. بَلْ عِنْدمَا أَرَاكَ قَبْلَ أَنْ تَعُودْ .. (**تبكى**)

زهـــــير : (**يحيطها بذراعه فى رفق**) لَسَوْفَ آتى للصَّغِيرَهْ
بِلُعْبَةٍ جَمِيلَهْ !
ومِئْزَرٍ مُنَمَّمْ .. لِتَمْسَحَ الدُّمُوعْ .. وَتَسْتَعِيدَ
فَرْحَهَا .. (**يضحك**)

ســـمراء : (**تضحك فى عبراتها**) إلى اللِّقاء .. (**يخرجون**)
(**وحدها على المسرح**) لَكِنَّكُمْ سَتَسْمَعُونَ صَوْتِى
وَتَلْمَحُونَ مَبْسِمِى
وَرُبَّمَا تَبيَّنَ الذَّكِىُّ مِنْكُمُ

أسرارَ مَقْدِمِى

(تغير النبرة والإيقاع)

إنَّنِى لستُ صغيرةْ

وَحَبانِى اللّه فَناً لا تُجَارِيه فُنونُ الأَدْعِيَاء !

فأنا الآنَ أميرةْ

(تمثل دور الأميرة)

يا فتىً أَلْقِ القِنَاعَا

قد فشى السِّرُّ وذاعاَ

وأنا الآنَ كَسِيرَةْ

(تمثل دور السائلة)

يا كَرِيمَ النَّفْسِ أَعْطِ السَّائِلَهْ !

قَدْ أَذَلَّتْهَا اللَّيالِى المَائِلَهْ !

وأنا الآنَ كبيرهْ

مِثْلُ عَرَّافَاتِكُمْ

أَوْ كَعَرَّافَاتِنَا

فى ثَنَايَا لَغْوِهِمْ نَبْضُ الحَقِيقَةْ !

(تمثل دور العرافة)

اسمعوا صَوْتِى وَمضْمُونَ كَلاَمِى

وَلْيُحَاذِرْ مَنْ يُسَلِّمْ مِنْ سَلاَمِى !

(تغير النبرة مع العودة للنغمة الأولى)

نعم .. نعم .. عَرَّافَةٌ أَنَا !

لَسَوْفَ يُحْتَفَى بِمَقْدِمِى

فَالحَاكِمُ العَجِيبُ يَهْوَى كُلَّ زَائِرٍ غَرِيبْ

وَسَوْفَ أَمْنَعُ الزُّهَيْرَ مِنْ لِقَاء مَائِسَهْ !

إظــلام

المشهد الخامس

الــــراوى : وبينما كان الجنودُ « يَعْمَلُون »
كانَ الوزيرُ قد مضى للحاكِمْ
وبعدَ ساعةٍ من الحديثِ والمراوغةْ
أعطاهُ ما أرادْ !

صوت ١ : وما كانَ الوزيرُ يريدُ .. مالاً ؟

الــــراوى : بل الفتاةُ مائسةْ !

صوت ٢ : أرادَها لِنَفْسِهِ ؟

الــــراوى : أَجَلْ ! ولَكِنْ كَيْ تَجُوزَ الخُطَّةْ !
فَهْوَ الخَبيرُ بالمَكَائِدْ
وهو الخبيرُ بالرِّجَالْ
(**يضحك**) وهو الخَبِيرُ بالنِّسَاءْ !
لَدَيْهِ من أعْضَادِهِ مَعْرُوف
إنْ كانَ عَيْبُه التَّقَعُّرْ
فَعَيْنُه لاتَغْفَلْ
وعَقْلُه لايُغْلَبْ !

صوت ١ : لَكِنَّنَا لانَفْهَمُهْ

صوت ٢ : كَلاَمُهُ غَريبْ !

الــــراوى : يَدُهُ اليُمْنَى ! أَوْ قُلْ
مَنْ يَنْصَحُهُ وَقْتَ الأزْمَةْ

والآنَ يُسِرُّ إلَيْهِ بِأُحْبُولَةْ
تُنْقِذُ عَرْشَ الحَاكِمْ
وَمَنَاصِبَ أَهْلِ القَصْرْ !

(عندما يعود الضوء نجد معروفاً
يتحدث مع الوزير)

معـروف : هذا ما يَضْمَنُها لَكْ !

الـوزيـر : كَلاً يا مَعْروفْ..
فَأنَا عَادِلْ
والواقعُ أنى أَخْشَى أَنْ تَرْفُضْ
الوَاقِعْ –

معـروف : الوَاقِعُ أَنَّ الوَاقِعَ يُخْفِيهِ الظَّاهِرْ
وإذَنْ فالباطِنُ وَاقِعْ
لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَيْضاً وَاقِعْ
والظَّاهِرُ لَيْسَ بِصْنوٍ لِلْبَاطِنْ !

الـوزيـر : مَعْرُوفُ كَفَى !

معـروف : مَوْلاىَ تَمَهَّلْ
البَاطِنُ أَنَّكَ لاتَهْوَاهَا
لَكِنَّ الظَّاهِرَ وَهْوَ نَقِيضُ البَاطِنْ
يَقْضِى بِهَوَاهَا
أَىْ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا
فَهْوَ زَوَاجٌ يُبْلِغُكَ الأَوْطَارْ
فَالزَّوْجَةُ تَنْصَاعُ لِأَمْرِ الزَّوْجْ
وإِرَادَتُهَا رَهْنٌ بِه

وَهِىَ تُنَفِّذُ ما يَبْغِيهْ

الـوزيـــر : لَنْ أَتَزَوَّجَ مَنْ لَا أَهْوَى
أَوْ مَنْ لَا تَهْوَانِى !

مـعـروف : مولاىَ تَدَبَّرْ ما أَحْكِى
الحَاكِمُ عَاقِلْ
أَعْطَاكَ الجَارِيَةَ الحَسْنَاء
لَمْ يَحْجُبْهَا
لَمْ يَطْلُبْ مالاً
وَلِمَاذَا ؟
(**يضحك**) كَىْ يُنْقِذَ مَحْصُولَ القَمْحْ ؟
كَلا يا مَوْلَاىْ !
الحاكمُ لايَبْغِيها
بَلْ مُنْذُ أَتَتْ لَمْ يَقْرَبْها !
إِمّا شَغَلَتْهُ هُمُومُ القَصْرْ
أَوْ أَنَّ الحُسَّادَ يَكِيدُونَ لَهَا
أَوْ أَنَّهُمَا لَمْ يتَحَابّا !

الـوزيـــر : أَوْ أَنَّهَا رَفَضَتْه ؟

مـعـروف : مَوْلَاىَ إِنَّهَا تَعِيشُ فِى شَقَاءْ
مَحْظِيَّةٌ لَيْسَتْ بِمَحْظِيَّةْ
لَا بُدَّ أَنْ تُرِيدَ زَوْجاً
وَفِى سَبِيلِ ذَلِكْ ـ
(**يهمس**) تَفْعَلُ الكَثِيرْ !

الـوزيـــر : هَلْ أَنْتَ وَاثِقْ ـ

مـعـروف : مَوْلَاىَ إِنَّنِى عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ شَىْء

طَمُوحةٌ عَنِيدَةٌ وَطَامِعَةْ
يَبْتَسِمُ الحَظُّ لَهَا ..
وَبَعْدَ أَنْ تَكُونَ فى الحَرِيمْ
مَنْسِيةً مَهْجُورةً ومُهْمَلَةْ
تَعُودُ للأَضْواء والنَّعِيمْ
لِلأَمْر والنَّهْىِ هُنا !
وَزَوْجَةً لِصَاحِبِ الوَزَارَةْ ..

الـوزيــر : (فى إقتناع) .. لَقَدْ تَأَخَّرَتْ !

مـعـروف : بَلْ لَا .. فَإِنَّها هُنَا !

(تدخل مائسة والخصى)

الـوزيــر : أهلاً بفاتِنَـةِ الزَّمَانْ !

مــائســة : حَقاً ! سَمِعْتُ أَنَّنىِ انْتَقَلْتُ من خَزَائِنِ الأَمِيْرِ ـ

(ساخرة)

إلى خَزَائِنِ الوَزِيرْ !

الـوزيــر : تَفَضَّلِى يا زِينَةَ القُصُورِ كُلِّهَا !

مـعـروف : عَبِيرُكِ قَدْ سَرَى سِحْراً فَأَسْكَرَ خَمْرُه الفَجْرَا !

مــائســة : تُرَى مَنْ أَنْت ؟ نَخَّاسُ الأَمِيرْ ؟

(تهاجمه فى سخرية شديدة)

مـعـروف : (منزعجاً) مولاىَ هل أَمْضِى ؟

الـوزيــر : خُذْ الخِصِىَّ مِنْ هُنا !

(يخرج معروف والخصى)

مــائســة : أَمَا سَمِعْتُهُ صَحِيح ؟

الـوزيــر : سَمِعْتِ خَيْراً مائِسَةْ !

مـــائســة : هذا الذى يقولُه الخِصِىّ ..
فى الفَجْرِ جَاء عِنْدَنَا
ثُمّ هَمَسْ
بِأنّنى مَطْلُوبةٌ فى مَسْأَلَةْ
وَعِنْدَمَا وَعَدْتُهُ بالخَيْرْ
إذَا بِهِ يَقُولُ إنّنِى انْتَقَلْتُ من حَريمٍ لِحَرِيمْ !

الـوزيــر : وَهَلْ عَلِمْتِ أنّ لى حَرِيماً ؟

مـــائســة : لَابُدَّ أنّه جَدِيدْ !
وَقُلْتَ فَلأَبْدَأْ بِها !
فربما كنتُ الوحيدةَ التى تعيشُ وحدَها !

الـوزيــر : لاتَغْضِبِى من الخِصِىِّ فَهْوَ جَاهِلٌ غَبِىّ !

مـــائســة : إذَنْ أما أزَالْ ..
فِى عِصْمَةِ الأَمِيرْ ؟

الـوزيــر : الواقعُ **(يتردد)**
الحَقُّ أنّنى بَحَثْتُ أمْرَكُنّ
وَرَاعَنِى أنّ الأَمِيرْ
لَمْ يَبْنِ بِكْ
وَرَاعَنِى .. بَلْ شَاقَنِى ..
كُلُّ الذى سَمِعْتُه عَنْ مَائِسَهْ ..
رَجَوْتُهُ أنْ يَتَخَلّى عَنْكِ .. **(فى تردد)** لى !

مـــائســة : **(فى تظاهر بعدم الفهم)** أنْ يَتَخَلّى لَكَ عَنّى لَسْتُ أفْهَمُكْ !
وَهَلْ أنَا مَتَاعْ ؟
يا سَيِّدى الوَزِيرْ

إنْ كُنْتَ لَا تَدْرِى فَدَعْنِى أُخْبِرُكْ :
.. تَقَدَّمَ الحَاكِمُ يَرْجُو
أَنْ أَكُونَ زَوجَتَهْ !
قَدْ كَانَ هَذَا مِنْ سِنِينْ
وَكُنْتُ فِى حَفْلٍ أُغَنِّى ـ
حِينَ رَآنى !
قَدْ كُنْتُ صَغِيرهْ .. وَجَمِيلَهْ
وَكَانَتْ الشِّدَّةُ تَجْتَاحُ البِلَادْ
وَسَرَّنِى مِنْهُ الكَرَمْ
كَمَا طَرِبْتُ عِنْدَمَا سَمِعْتُ شِعْرَهُ
(**تضحك**) أَوْ شِعْرَ شَاعِرهْ !
كَانَتْ هَدَايَاهُ سَخِيَّهْ
وَكَانَ أَهْلِى فَرِحِينْ !
حَتَّى أَتَى اليَوْمُ اللَّعين
وَجَاءنى مَوْكِبُ عُرْسٍ سَارَ بِى لِلْقَاهِرَةْ
وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ فِى المَسَاء
رَفَلْتُ فِى الحُلِىّ والحُلَلْ
كَأَنَّنِى حَقاً عَرُوسْ !

الـوزيـــر : لا عِلْمَ لِى بِذَاكْ !
لَكِنَّنِى أَعْلَمُ أنه اقْتَنَى مَحظِيَّةْ !

مـــالســـة : ما أعجبَ الحُكَّامَ والوُلَاةْ !
أَهَذِهِ مِنَ المَكَائِدِ الجَدِيدَةْ ؟
لقد وُضِعْتُ أيها الوزيرُ فى الحَرِيمِ .. أَوَّلاً ..
كَانَتْ تَحُفُّ بِى الجَوَارِى والخَدَمْ

وَكُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ أَنْ أَنَامْ
يُقَالُ لِى غَداً سَأَرْحَلْ
وَكَرَّتْ الأيامُ والشُّهورْ
وَحَوْلِىَ الخِصْيَانُ والغِلْمَانْ
فى عَالَمٍ مِنَ الفُجُورِ والتَّرَفْ
مِنَ المَكَائِدِ الخَسِيسَةْ
وَمِنْ نَفَائِسِ التُّحَفْ !

الوزيـــر : لَرُبَّما لَمْ تَفْهَمِى قَصْدَ الأَمِيرْ !

مـــائســة : بَلْ إنَّنِى فَهِمْتُه !
إذْ بَعْدَ أنْ نُقِلْتُ لِلْقَصْرِ الصَّغِيرْ
عَرَفْتُ مِنْ بَيْنِ الحَرِيمِ سَيِّداتٍ
عِشْنَ أعْواماً يُحَادِثْنَ الهَوَاءْ
وَكِدْتُ أَغْدُو مِثْلَهُنّ
سَجِينَةَ النَّعِيمِ والخَدَمْ
لَكِنَّنِى كُنْتُ بِأَفْكارى طَلِيقَةْ
لَمْ تَبْرحْ الحُقُولُ أحْلاَم المَسَاءْ
أَوْ غَادَرَتْ سَمْعِى أَهَازِيجُ السَّمَاءْ
هَمْسُ الحَرِيرِ فى دَمِى هَمْسُ الحَفِيفْ
كَانَ عَزَائِى ذكْرَيَاتُ الرِّيفْ
.. وأَنَّ خَادِعِى لَهُ نِهَايَةْ
وأَنَّنِى مَازِلْتُ حُرَّةْ
لَمْ يَبْنِ بِى الأمِيرْ
ولا اشترانِى مِنْ أَحَدْ
حَتَّى وَلاَ رأَيْتُ وَجْهَهُ القَبِيحْ !

الــوزيـــر : عَفواً بَلْ اشْتِرَاكِ يا فَتَاتِيَ النَّبِيلَةْ !
مـــائســة : هَذَا الّذِى لا أَعْرِفُه !
عَجَباً وَكَمْ كَانَ الثَّمَنْ ؟
الــوزيـــر : دَفَعَ الكَثِيرَ إِلَيكِ فى عِلْمِى
وَأَفَاء بالخَيْرِ العَمِيمِ عَلىَ ذَوِيكْ
مـــائســة : فَأَنَا إِذَنْ أَمَةٌ ولا أَعْلَمْ !

(تضحك) هذا هُرَاءٌ يا وزيرَ القَصْر !
الــوزيـــر : بَلْ الحَقِيقَةْ
(بسرعة) لَكِنَّنِى أَرْفُضُها !
فَبَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ ما حَدَثْ
سَعَيْتُ حَتَّى أُنقِذَكْ !
مـــائســة : إِذَنْ فَهَلْ أَتْرُكُ قَصْرَ الحَاكِمْ
الــوزيـــر : لَقَدْ تَرَكْتِهِ !
لَقَدْ غَدَوْتِ فى يَدِى .. جَارِيَتِى !
مـــائســة : جَارِيَتُكْ ؟ مُنْذُ مَتىَ ؟

الــوزيـــر : أَرْجُوكِ لا تُنَاقِشِى هَذَا
فالشَّرْعُ يَقْضِى بِهْ
وَلَيْسَ مِنْهُ مَهْرَبْ !
مـــائســة : دَارَ الزَّمَانُ مَائِسَهْ
وَعَادَ شَرْعُ الغَابْ
شَرْعُ الذى يَسُودْ
بالظُّفْرِ والأَنْيَابْ !
هل الخِدَاعُ شَرْعُكُمْ

يا أيها الذِّئابْ ؟

الـوزيــر : تُرَى نَسِيتِ أَيْنَ أَنْتِ ؟
يا أَيُّها الحُرَّاسْ !

(يدخل الحراس)

مــائســة : تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى ؟
تُرِيدُ أَنْ تَسْجُنَنِى ؟
تُرِيدُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا بِى مَرَّةً أُخْرى إلى قَصْرِ الأَمِيرْ ؟
أَعْطِ الأَوامِرَ يا وَزِيرْ !
قُلْ مَا تُرِيدْ !

الـوزيــر : (متداركاً) بَلْ لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى أَحَداً هُنَا !
انْصَرِفوا .. (صائحاً) انْصَرِفوا ! (يخرج الحراس)

مــائســة : (فى رقة) ماذا تريدُ أَنْ تَقُولْ ؟

الـوزيــر : (مضطرباً) لا ! لا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ أَىَّ شَىْء !

مــائســة : نَادَيْتَنِى كَيْلاَ تَقُولَ أَىَّ شَىْء ؟

الـوزيــر : (يتردد) لا ! لَمْ أَكُنْ أَعْلَمْ -
كُنْتُ فَقَطْ - (فى عذوبة)
يا مائسة ! هناك أَمْرٌ مِنْ أُمورِ الدَّوْلَهْ
لا يَسْتَطِيعُ حَلَّهُ سِوَاكْ ..
وإنْ وَقَفْتِ جَانِبِى

مــائســة : تَقْصِدُ إنْ نَفَّذْتُ هَذَا الأَمْر ؟

الـوزيــر : بَلْ أَقْصِدُ الوُقُوفَ جَانِبِى ..

مــائســة : هَلْ تَقِفُ الجَارِيةُ اليَوْمَ بِجَنْبِ السَّيِّدْ ؟

الـوزيــر : إذَا وَقَفْتِ جَانِبِى فَلَنْ تَعُودِى أَمَتِى !

سَنَعْتَلِى العَرْشَ مَعاً
زَوْجاً وَزَوْجَةْ
بَلْ حَاكِماً وَمَلِكَةْ !

مـائسـة : مَكَائِدُ القَصْرِ الَّتِى لاتَنْتَهِى
قَدْ أَفْرخَتْ فِى كُلِّ يَوْمٍ أَمَلاَ !

الـوزيـر : إنَّه لَيْسَ مَكِيدَةْ
إنَّه وَعْدُ زَوَاجٍ وَغِنىً ..

مـائسـة : حَسِبْتُهُ وَعْدَ غَرَامْ !

الـوزيـر : سَنَعْتَلِى العَرْشَ مَعاً
وَنَقْطُفُ الحُبَّ مَعاً
وَنَسْتَطِيلُ لِلسَّمَاءِ أَذْرُعاً !

مـائسـة : تُرِيدُ أَنْ أُصَدِّقَكْ ؟

الـوزيـر : لَكِنَّنِى كَمَا تَرَيْنَ مَائِسَةْ
عَلَى مَشَارِفِ الكُهُولَةْ
.. لَمْ أَتَزَوَّجْ
وَهَبْتُ عُمْرِى لِلْعُلا
جَمَعْتُ أَمْلاَكاً .. مَمَالِيكاً .. وَجَيْشاً لَا يُرَى !
والآن يَأْتِى ذَلِكَ الصُّعْلُوكُ ذلكَ الزُّهَيرْ !

مـائسـة : مَنْ ذَلِكَ الزُّهَيْر ؟

الـوزيـر : هَذَا هُوَ الأَمْرُ الذِّى عَلَيْكِ حَلُّهُ
وَدُونَ أَنْ أُطِيلْ ـ
هُنَاكَ فَلاَّحٌ يقولْ .. القَمْحُ طَارْ !
طَارَتْ بِهِ الغِرْبَانْ
وَبَعْدَ فِكْرٍ وَتَدَبُّرْ

أدْرَكْتُ أنَّهُ يُحَاوِلُ الخِدَاعْ
وَأنَّهُ مَكِيرْ
وَسِرُّهُ خَطِيرْ !

مـــائسـة : هَذَا الزُّهَيْر هَلْ هُوَ الذِّى ـ

الـوزيـــر : نَعَمْ ! هُوَ الذِّى كانَ حَبِيبَكْ !
إنْ استَطَعْتِ كَشْفَ هَذِهِ المَكِيدَة
إنْ استَطَعْتِ أنْ تُعِيدِى القَمْحْ ـ

مـــائسـة : فَسَوْفَ أغْدُو مَلِكَةْ ! ؟

الـوزيـــر : بلى سوفَ تَبْنِينَ دِيَاراً
حُكْماً وَنُوراً وَنَهاراً

مـــائسـة : لَكِنَّنِى لا أفْهَمْ ـ
تُرِيدُ أنْ أسْتَرْحِمَهْ ؟
أذْهَبُ لَهْ ؟
أسْتَحْلِفُهْ ؟
بحَقِّ مَا كَانَ وَوَلَّى ؟

الـوزيـــر : لَقَدْ أتَيْنَا بِزُهَيْر ..
وَسَوْفَ نُبْقِيهِ هُنَا
حَتَّى تَرَيْنَهْ !

مـــائسـة : هَذَا إذَنْ ثَمَنُ الزَّواجْ ؟
ثَمَنُ احْتِرَاقِ النَّفْسِ فى قَصْرٍ جَدِيدْ ؟

الـوزيـــر : لا تَرْفُضِى يا مائسةْ ..
بَلْ فَكِّرِى ..
هذا الذى أبْغِيهِ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلْ ..

مـائسـة : كَلاّ .. ولَكِنِّى سَأَرْفُضُ المُكَافَأةْ !
الـوزيــر : لَنْ تَقْبَلِى الزَّوَاجَ بى ؟
إنّى أُحِبُّكْ !
مـائسـة : حَقاً ؟
الـوزيــر : مَاذَا تُرِيدُ مائسة ؟
مـائسـة : أَبْغِى الحُرِّيهْ !
أَطْلِقْنى إنْ كُنْتُ أَمَهْ !
حَرِّرْنى إنْ كُنْتُ سَجِينَهْ !
الـوزيــر : وإنْ فَعَلْتُ .. تَقْبَلِينَنى ؟
مـائسـة : لابُدَّ يا وَزِيرُ أنْ تَنْتَظِرا !
فَعِنْدَهَا ـ سَأَمْلِكُ الخِيَارْ ..
الـوزيــر : هذا صَحِيحْ .. **(يفكر)**
مـائسـة : ماذا تَقُولْ ؟
الـوزيــر : لَنْ أَنْكُثَ العَهْدَ الذّى أَقْطَعُهُ !
إنْ اسْتَطَعْتِ كَشْفَ سِرِّهْ
فَأنْتِ حُرَّهْ !

إظــلام

نهاية الجزء الأول

المشهد السادس

الــــراوى : الحاكِمُ الحَصِيفُ يَنْتَظِرْ !
لكنه يَعْرِفُ أَنَّ القَصْرَ يَحْيا بالمَكَائِدْ
لِذَا فَقَدْ خَصَّصَ جَاسُوساً
بَلْ خَصَّصَ العُيُونَ والآذانْ
لِكُلِّ منْ يَعْمَلُ فى ظِلِّه !
وَعِنْدَمَا جَاءَ زُهَيْر
كَانَ قَدْ استَعَدَّ لَهْ :
أَعَدَّ فِرْقَةً مِنَ الجُنُودْ
وَبَعْضَ أَكْيَاسِ الذَّهَبْ
وَخُطَّةً أَوْ خُطَّتَينِ !
وَقَبْلَ أَنْ يَرَى زُهَيْراً جَاءَهُ مَنْ أَطْلَعَهْ
عَلَى حَبَائِلِ الوَزِيرْ !

صوت ١ : أَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى الوَزِيرْ؟

صوت ٢ : وَكَيْفَ يَخْشَاهُ وَقَدْ عَيَّنَهْ؟

الــــراوى : كَانَ الوَزِيرُ ذَا عُيونْ
وَطَامِحاً فى عَرْشِ مِصْر
وَكَانَ عِنْدَهُ ذَهَبْ
لَكِنَّ مِنْحَةً كَهَذِهِ
أَكْبَرُ مِنْ خَزَائِنِه !

صوت ١ : وَلِذَا فَالقَمْحُ مُهِمّ ؟
صوت ٢ : القَمْحُ حَيَاةُ الفَلاَّحْ !
الـــراوى : القمحُ حياةُ جميعِ النَّاسْ
والحاكمُ يَعْلَمُ ذلك
لَكِنَّ له الأَهْرَاء
أَىْ مَخْزُونَاتُ الحَاكِمْ !
صوت ١ : هذى أَبَداً لا تَنْضَبْ !
صوت ٢ : هذا ما ذَكَرَ المَقْرِيزى !
الـــراوى : ولذا فى كُلِّ مَجَاعَةْ
لا يَهْلِكُ إلاَّ الفُقَرَاء !

(يعود الضوء فنرى الحاكم جالساً وحوله الحاشية ـ يدخل عارف ومعه زهير وخلفهما الوزير ومعروف)

عـــارف : هذا زُهَيْرٌ سيدى !
الحاكــم : هَلْ قُلْتَ إنَّه النَّقِيبْ ؟
زهـــير : أَنَا لَسْتُ شَيْئاً أَيها الحاكمْ !
الحاكــم : (**يصرخ**) صَمْتاً
الـوزيــر : وَهَلْ طَلَبَ الكَلَامَ أَحَدْ ؟
مـعروف : فى حَضْرَةِ مَوْلَانَا الحَاكِمْ
تَخْفُتُ أَصْوَاتُ البَشَرِيَّهْ
لا تُسْمَعُ إلاَّ أَنْغَامُه ـ
أَلْحانُ الحِكَمِ الدُّرِّيَّهْ !
الحاكــم : صَمْتاً يا مَعْروفْ !

معروف : عَفْواً يا مَوْلاَى ..

الحاكم : أَقْبِلْ زُهَيْرُ لَا تَخَفْ ..
سَمِعْتُ قَوْلاً رَاعَنِى
وَلَا أُصَدِّقُه !
تَعَالَ .. لَا تَخَفْ ..
مَاذَا حَدَثْ ؟

زهير : هَمٌّ باللَّيْلِ يُؤَرِّقُنى مُنْذُ الحَادِثْ
لا أَقْدِرُ أَنْ أَرْوِيهْ

الحاكم : فَإِذَا أَجْزَلْتُ لَكَ المِنْحَهْ ؟

زهير : لا أَبْغِى شَيْئاً يا مَوْلَاىْ !

الحاكم : أَعْلَمُ أَنَّكَ مِنْ أَنْجَبِ أَبْنَاء الأَرْضْ
فَتَحَدَّثْ لاتَخْشَ مَلَاماً ..
(فى عظمة) قَدْ أَمَّنْتُكْ !

زهير : (يتردد) غِرْبَانُ اللَّيْل !

الحاكم : ماذا ؟

زهير : هَجَمَتْ غِرْبانُ اللَّيلِ عَلَى حَقْلى
وَعَلَى كُلِّ حُقُولِ البَلْدَهْ
فالتَقَطَتْ بالمِنْقَارِ القَمْحْ !

معروف : ماذا يَعْنِى بالمِنْقَارْ ؟

زهير : بالمِنْقَارِ وبالمِخْلَبْ !
وبأَجْنِحَةٍ كالصَّاعِقَةِ انْقَضَّتْ
ظَلَّتْ تَضْرِبُ دُونَ هَوَادَهْ
حَصَدَتْهُ هَشِيماً

وَذَرَتْهُ حُطَامَا

الوزيــــر : لَكِنَّ المَحْصُولَ وَفِيرْ !

عــــارف : عِنْدِى تَقْرِيرْ !

الحاكــم : مَهْلاً يا عَارِفْ !

كَيْفَ تَأَتَّى لِجَمَاعَةِ غِرْبَانٍ أَنْ تَهْضِمَ كُلَّ القَمْحْ ؟

كَمْ عَدَدُ الغِرْبَانْ ؟

عــــارف : مائةٌ أَوْ أَلْفٌ فى أَقْصَى تَقْدِيرْ !

زهـــــير : لا أَعْرِفُ يا مَوْلاىَ حِسَابَاتِ الدَّوْلَةْ

فَأَنَا فَلاَّحٌ مَحْدُودُ التَّفْكِيرْ !

الحاكــم : لَنْ تَنْفَعَ هَذِى الأُكْذُوبَةْ !

مـعـروف : وَعِقَابُ الكَذِبِ الأَسْوَدِ مَوْتٌ أَسْوَدْ

الحاكــم : صَمْتاً يا مَعْرُوفْ !

زهـــــير : أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الحَادِثَ مُؤْلِمْ

فالقمحُ هُوَ الخُبْزُ اليَوْمِىّ

وبدُونِ الخُبْزِ يَجُوعُ النَّاسْ !

(يسود الصمت)

ما أَنْبَلَكُمْ يا حُكَّامَ النَّاسْ !

تَبْكُونَ لِجُوعِ النَّاسْ

والنَّاسُ تُقَدِّرُ هذى العَاطِفَةَ المُثْلَى !

الحاكــم : ماذا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ يا زُهَيْر ؟

زهـــــير : **(يتصنع السذاجة)** أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ مَاذَا ؟

لا شىء سَيِّدى ..

الناسُ تَعْرِفُ أَنَّكُمْ

سَتُدْرِكُونَ شَعْبَكُمْ

فَتَفْتَحُوا أَهْرَاءَكُمْ
لِكَىْ يَعُودَ الخُبْزُ لِلْجِيَاعْ !

الحاكم : (**فى غيظ**) لا لَمْ يَجُعْ بَعْدُ أَحَدْ !
بَلْ لَنْ يَجُوعَ أَحَدْ !

زهير : (**صائحاً**) ما أَنْبَلَ الحَاكِمَ ما أَكْرَمَهْ !

الحاكم : من الحُقُولِ يا زُهَيْر
وليس من خَزَائِنِ الحُكَّامْ !
يا أيها الوزَيرْ !
سَأَخْتَلى بذلكَ الفَلاَّحْ !
هَيَّا ..

(**يخرج الوزير وعارف ومعروف**)

والآن قُلْ لِى ما تُرِيدْ ؟

زهير : أنا لا أُرِيدُ أَىَّ شَىْء !

الحاكم : (**يكظم غيظه**) أَعْرِفُ فيكَ المَكْرَ مِثْلَ أَهْلِ مِصْر
وَقَدْ حَكَمْتُهُمْ عَلَى مَرِّ السِّنِين
وَمَذْهَبِى أَنْ أَنْتَقِى الوزيرَ مِنْهُمْ -
أَىُّ وَزِيرْ -

زهير : هذا الوزيرُ .. مِنْهُمْ ؟

الحاكم : وَكُلُّ مَنْ أَخْتَارُهُ (**يشير إليه**) لَابُدَّ أَنْ يكونَ ..

زهير : (**متصنعاً السذاجة**) مِنْهُمْ ؟

الحاكم : يُعْجِبُنِى فيكَ ذَكَاؤُكْ
وَأَنْتَ لاشَكَّ زَعِيمْ !

زهير : مَعَاذَ اللَّهِ يا وَالِى
فَإِنِّى زَارِعٌ قَانِعْ

الحاكم : بَلْ طَامِعٌ وقائدٌ مَفْطُورْ !

زهير : « مَفْطُورٌ » يا مولاى ؟

الحاكم : أَقْصِدُ بالفِطْرَةِ والمَوْهِبَةِ الفَذَّةْ !

أَمَامَكَ العُلاَ

المَجْدُ يَدْعُوكَ إِلَيه !

هَيَّا ..

خُذْ ما تُريدُ مِنْ مَنَاصِبْ

(**يهمس**) فَأَىَّ مَنْصِبٍ تُرِيدْ ؟

زهير : أنا مَنْصِبِى زَارِعْ

وَأَنَا بِهِ قَانِعْ

الحاكم : إِنّ صَبْرِى كَادَ يَنْفَدْ !

زهير : الصَّبْرُ فى الشَّدَائِدْ

مِنْ سِمَةِ الأَمَاجِدْ

الحاكم : (**فى غيظ**) إذَا أَمَرْتُ الآنَ طَارَ رَأْسُكْ !

زهير : المَوْتُ والحَيَاةُ فى يَدِ القَدِيرْ !

سُبْحَانَهُ تَعَالَى !

وَهْوَ الّذى يُسَبِّبُ الأَسْبَابْ

وَرُبَّمَا كُنْتَ السَّبَبْ

الحاكم : بَلْ إنّه إعْلاَنُ حَرْبْ !

زهير : العَفْوَ يا مولاى !

« والكَاظِمِينَ الغَيْظْ » !

الحاكم : كَظَمْتُهُ .. سَأَتْرُكُكْ ..

وَسَوْفَ نَلْتَقِى

فى حَفْلَةِ المَسَاءْ

وَسَوْفَ تَدْرِى عِنْدَهَا
أنَا نُقَدِّرُ الذَّكَاءَ ! (يدخل الحاجب)

الحاجب : عَرَّافَةٌ بالبَابِ يا مَوْلاَىْ !

الحاكم : عَرَّافَةٌ من العَرَبْ ؟

الحاجب : نَعَمْ .. لَكِنَّهَا جَدِيدَهْ !

الحاكم : لم يا تُرى جَاءَتْ إلَيْنا ؟

(يتأمل ويفكر)

لابُدَّ أنَّ الأمرَ هَامّ
بل إنّه جدُّ خَطِيرْ !
اسمعْ !
خُذْهَا إلى قَصْرِ الضُّيُوفْ
قَدِّمْ إليْها ما تُرِيدْ
أكْرِمْ وِفَادَتَها
(فى صوت رزين)
عَرَّافَةُ الأعرابِ جَاءَتْ فى غِمَارِ الأَزْمة
قَدْ كُنْتُ وانْتَوَيْتُ أنْ أُحَادِثَ العَجُوزْ
لَكِنَّهَا جَاءَتْ إلَيْنَا ..
اسْمَعْ ..
لا تُغْلِقْ البابَ عَلَيْها
وَسَوْفَ أَلْقَاهَا غَداً (يخرج الحاجب)
وَالآنَ فَكِّرْ يا زُهَيْرْ
أَعِدْ النَّظَرْ ..
(لنفسه) بِمَ يا تُرَى جَاءَتْ إلَيْنا السَّاحِرَهْ ؟

إظــلام

المشهد السابع

الـــراوى : وَبَيْنَمَا ظَنَّ الجَمِيعُ أَنَّ عَيْنَ ذَلِكَ الوزيرِ غَافِلَةْ
كَانَتْ عُيُونُ صَاحِبِهْ
تَجُوسُ بَيْنَ النَّاسْ
وَتَسْأَلُ القَرِيبَ والبَعِيدَ دُونَمَا كَلَلْ
لَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَذُودُ عَنْ حِيَاضِهْ
وَكُلُّ زَارِعٍ يُؤَكِّدُ المَقُولَةَ المُدَبَّرَةْ
« غِرْبَان كُلِّ مَوْسِمْ طَارَتْ بِقَمْحِ المَوْسِمْ ! »

صوت ١ : ماذا صَنَعُوا بالمَقْبُوضِ عَلَيْهِمْ ؟

صوت ٢ : ماذا قالَ المُتَّهَمُون ؟

صوت ١ : هَلْ هَدَأَ الحُرَّاسْ ؟

صوت ٢ : ماذا فَعَلَ رَئِيسُ الحَرَسْ ؟

الـــراوى : سَاقَ الحُرَّاسُ عَدِيداً من أَهْلِ الرِّيفِ إلى الأَسْجَانْ
عُذِّبَ نَفَرٌ وَمَضَى نَفَرٌ لِلسُّلْطَانْ ..
سَامُوا النَّاسَ هَوَاناً مِنْ بَعْدِ هَوَانْ
كَانَتْ كُلُّ السُّبُلِ ظَلاَماً حَالِكْ ..
مُسْتَقْبَلُ أَهْلِ القَصْرِ عَلَى كَفِّ العِفْرِيتْ !
والأَمَلُ الباقِ أَنْ يَنْهَارَ زُهَيْرٌ حِينَ يَرَى مايسه

صوت ١ : لَكِنْ مَاذَا قَالَ الطَّابُونِى ؟

صوت ٢ : ماذا قالَ المَقْرُور ؟

الـــراوى : ظَلَّ الطَّابُونِى يُقْسِمُ حَتَّى صَدَّقَ بَعْضُ النَّاسْ !
أَمَّا مَقْرورٌ فَحَكَى قِصَصاً يَتَنَاقَلُها الرُّكْبَانْ !

(عاد رئيس الحرس يدخل على مقرور والطابونى وآخرين ومعهم الجند)

عـمـاد : **(إلى الجنود)** أَيُصِرُّونَ عَلَى الإِنْكَارْ؟

الجنـدى : **(هامساً إليه جانباً)** ضَرَبْنَاهُمْ ! أَذَقْنَاهُمْ هَوَانَ العُمْر !

عـمـاد : لَمْ يَعْتَرِفْ أَحَدْ؟

الجنـدى : قَالُوا غِربَانُ الرِّيفِ لَهَا ذَوْقٌ مَخْصُوصْ
وَحَكَوْا لِى عَنْ بَعْضِ الأَنْواعْ
يَأْكُلُها النَّاسُ هُنَا -

عـمـاد : صَهٍ !

الجنـدى : أَتَى الغِرْبَانْ -

عـمـاد : **(مقاطعاً)** أَمْسِكْ !

الجنـدى : أَتَى الغِرْبَانُ قَالُوا -

عـمـاد : **(مقاطعاً)** قُلْتُ لاتُكْمِلْ .. وَدَعْهُم لى ..
(يخرج الجنود)
(إلى الرجال) إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ النَّجَاهْ
إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الحَيَاهْ
فَأَصْغُوا لى ..

مـقـرور : **(بصوت مهدود)**
يا سيِّدَ الحراسِ أرجوكَ تَمَهَّلْ ..
فَأَنْتَ لَسْتَ مِنْ بِلادِنَا

وَلَسْتَ تَعْرِفُ الغِرْبَانَ فِى حُقُولِنا ..

طــابونى : غِرْبَانُنَا مِنْ كُلِّ لَوْنْ
فالبعضُ أَسْوَدْ
والبعضُ أزرقْ
والبعضُ كالشيطانِ أَحْمرْ
والبعضُ كالثُّعْبانِ أَرْقَطْ
والبعضُ هَفْهَافٌ جَمِيلُ القَدِّ زَاهِى الرِّيشِ أَصْفَرْ !

عـــمـــاد : هذا هُراءٌ ..
لا أَعلمُ عَنْ هذا شَيْئاً !

رجـــــل : وَفَوْقَ كُلِّ عالمٍ عَلِيمْ !

مــقــرور : يا سيِّدى
فى كُلِّ بُلْدانِ البَسِيطَةِ تَأْكُلُ الغِرْبانُ أَحْشَاءَ الدَّجَاجْ
إلاَّ هنا ..
صَدِّقْ فَإِنِّى أَصْدُقُكْ !
وَكُلُّ شَىْءٍ جَائِزٌ فى مِصْر
إنِّى عَذَرْتُكَ حِينَ كَذَّبْتَ الرِّوَايةْ
لَكِنَّهَا بَلَدُ الأَعَاجِيبِ الّتِى يَحْكُونَ عَنْهَا !
أَلَمْ يَشْهَدْ بِذَاكَ الخَلْقُ كُلُّه ؟

عـــمـــاد : الكُلُّ ماكِرُونَ خادِعُونَ مَلْعُونُونْ !

طــابونى : كُلُّ البَشَرْ ؟ فَشَرْ ؟ فَشَرْ !

عـــمـــاد : صَهٍ يا أَيُّها الخَبَّازْ !

مــقــرور : إنِّى عَجُوزٌ هَدَّهُ الدَّهْرُ وأحْنَتْهُ السُّنُونْ ..
وَلَسَوْفَ أَصْدُقُكَ المَقُولَةْ

فى مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ مِنْ عَامٍ مضَىَ
هَجَمَتْ عَلَى حَقْلِى الحَمَائِمْ !
أَلْوانُها كَانَتْ غَرِيبَةْ
لَكِنَّها كَانَتْ عُمُوماً ذَاتَ رِيشٍ بُرْتُقَالِى !

طـــابونى : أَمَّا المَنَاقِيرُ فَكَانَتْ ذَهَبِيَّة !

مـــقـــرور : هَلْ تَعْرِفُ الذّى أَكَلَتْهُ أَسْرَابُ الحَمَامْ ؟
أَكَلَتْ لُحُومَ المَاعِزِ المَشْوِىِّ فَوْقَ الفَحْم !

طـــابونى : قُلْ إِنَّهَا النَّيفَةُ والأَجْرُ عَلَى اللّه !

عـــمـــاد : (**صارخاً**) يا أيّها الجُنودْ ! يا أيها الحُرّاسْ !

(يدخل الجنود والحراس)

عُودُوا بِهِمْ للسِّجْنِ حَتَّى يَهْلِكُوا !

مـــقـــرور : وعِنْدَمَا نَهْلِكُ يا أَمِير
يَعُودُ لِلْحُقُولِ قَمْحُها ؟
اسمعْ نَصِيحَتِى !

طـــابونى : فَتِّشْ عَنِ الغِلَالْ
فى بَيْتِ مَنْ يَمْلِكُها !

مـــقـــرور : مَنْ فِى بِلادِ اللّهِ يَمْلِكُ الغِلَالْ ؟

طـــابونى : لا يَمْلِكُ الغِلَالَ إلاّ حَاكِمُ الدِّيَارْ
فَلَدَيْهِ أَهْرَاءٌ وَمَخْزُونٌ عَرِيضْ !

(الجنود يقبضون ثانياً على الجميع)

مـــقـــرور : إِذَا كُنَّا نَمُوتُ اليَوْمَ فِى أَيْدِى الطُّغَاةْ
فَغَيْرُنَا يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَذَابِ الجُوعْ !

عـــمـــاد : عُودُوا بِهِمْ لِلسِّجْنِ قُلْتُ لَكُمْ !

صقرور : كِلْمَةٌ أو كِلْمَتَيْن ..
ثُمَّ لَنْ تُبْصِرَ وَجْهِى !
عِنْدَمَا تَرْجِعُ للوَزِيرْ ..
قُلْ لَهُ الحَقَّ بلا زُخْرُفْ
قُلْ لَهُ وَجَدْتُ حَبَّةً
وَجُزْءاً مِنْ فَطِيرَةْ !

طابونى : قُلْ لَهُ إنَّ الفَطِيرَةَ
مِنْ نَوَى المِشْمِشْ !

عماد : (صارخاً) هَيَّا ..

(يخرج الجنود بالرجال)

(وحده على المسرح) ماذا أقولُ للوزيرِ إن سَأَلْ ؟
وَجَدْتُ حَبَّةً وَحِيدَهْ ؟
وَجَدْتُ نِصْفَ فَطِيرَهْ !
وَمَا هَذا الكلامُ عن غِرْبَانِ مِصْر

عن الحَمَائِمِ الوَدِيعَةْ ؟
هَلْ تَأْكُلُ الأحْيَاءُ كُلَّ شَىْء ؟
لَرُبَّمَا تَغَيَّرَتْ طَبَائِعُ الأشْياء فى هذا البَلَدْ !
وَقَدْ تُغَيِّرُ البِلادْ
طبائعَ الأشَياءْ !

(يدخل حارس فى عجلة)

الحارس : سيدى ! سيدى !

عماد : ماذا دَهَاكْ ؟

الحارس : أَمَر الوَزِيرُ بِأَنْ تُؤَجِّلَ كُلَّ شَىء رَيْثَمَا يَأْتِى بِنَفْسِهْ

عـــمـــاد : مَاذَا تَعْنِى ؟
الحـارس : لا تَقْتُلْ أَحَداً حتى يَأْتِى !
(يخرج الحارس)
عـــمـــاد : فَهِمْتْ ..
(وحده على المسرح)
قَدْ وَجَدُوا الغِرْبَانْ !

إظـــلام

المشهد الثامن

الـــراوى : وعِنْدَمَا أَرْخَى الظَّلاَمُ سِتْرَهُ
جَاءَتْ قَنَادِيلُ القُصُورِ السَّاهِرَةْ
غَنَّتْ قِيَانُ المُلْكِ أَلْحَانَ التَّرَفْ
وانْدَاحَتْ الأَضْوَاءُ فى سَاحَاتِ عِزٍّ باهِرَةْ
وانْسَابَ فى القَاعَةِ خَطْوُ الرَّاقِصَاتْ
وانْسَابتْ النَّشْوَةُ من زِقِّ الرَّحِيقِ الآسِرَةْ
صوت ١ : وَأَتَتْ كَذَلِكَ مَائِسه ؟
صوت ٢ : وَأَتَى زُهَيْرٌ والأَمير؟
الـــراوى : .. هيا فهذا وقتُ مُتْعَةْ
والوقتُ فيهِ مُتَّسَعْ !
سَنَحْضُرُ الحَفْلَ مَعاً !
(تضاء الأنوار وتعزف الموسيقى

(وتدخل الراقصات . أنغام تركية مملوكية ـ قينة تغنى)

القينة : اسْكُبِ اللَّيلَ فى الشَّرَابْ
ثُمَّ حَلِّقْ إلى السَّحَابْ
قَدْ غَفَرْتُ الّذِى تَوَلَّى
كُلُّ ما قَدْ مَضَى سَرَابْ
ليلتى هذهِ ستارْ
وجمالٌ لَهُ خِمَارْ
فعيونُ الزَّمَانِ نَامَتْ
لَيْسَ يَدْرِى بنا المَدَارْ

صوت ١ : إنه شِعْرٌ ركيكٌ لم يُسَجِّلْهُ الزَّمَنْ

صوت ٢ : إنّه لا شكَّ مرآةٌ لما يَجْرِى هُنَا !

الراوى : (**يضحك**) لا تَعْرِفُ القيانُ أنّنا هُنَا !
حتى ولا الأميرْ
فعندَه مؤرخٌ رَسْمِىّ
يُسَجِّلُ الذى يُرِيدُه فَحَسْب !

(تدخل مائسة وتغنى)

مائسة : كَانَ لى قَلْبٌ وبِعْتُهْ
وتَوَلَّى ونَسِيتُهْ
سَأَعِيشُ العُمْرَ أَبْكِى
وَأُغَنِّى كَيْفَ بِعْتُه ؟
اللّيالى سادِرَةْ
هَمُّهَا هَمٌّ طَوِيلْ
وَدُمُوعِى غَائِمَةْ

لَمْ تَعُدْ تَشْفِى الغَلِيلْ

زهـــيـر : **(يعرف صوت مائسة)** رَبَّاهُ هَـذِى مَائِسةْ !

الــراوى : وهكذا يا أَصْدِقَائِى ـ

الحاكـم : **(يَتَنَبَّه لوجود الراوى)** مَنْ أَنْتَ ؟ مَدْعُوٌّ إلى الحَفْلِ الكَبِيرْ ! ؟

الــراوى : كَلاَّ ولَكِنْ ـ

الحاكـم : اقْبِضُوا عَلَيْه !

(يجرى الراوى مع صديقيه خارجين إلى الصالة)

مـــائســة : **(تغنى بألحان إيقاعية)**

هَلْ ضَاعَ مِنِّى كُلُّ شَىْءْ يا تُرَى
أَمْ أَنَّ حِكْمَةَ الزَّمَانِ أَنْ نَرَى
كُلَّ الَّذى أَرَدْتَهُ
وَقَدْ تَوَارَىَ فِى الثَّرَى ؟
هَلْ ضَاعَ مِنِّى كُلُّ شَىْءْ ـ

زهـــيـر : **(صائحاً)** مائسة !

مـــائســة : صَوْتٌ مِنَ المَاضِى سَرَى
كَأَنَّهُ حُلْمُ الكَرَى

زهـــيـر : إنِّى زُهَيْرٌ مائسة !

مـــائســة : **(تغنى)** كانَ لى حَقاً زُهَيْرٌ وتَرَكْتُهْ
كانَ لِى قَلْبٌ وخُنْتُهْ
سَأَعِيشُ العُمْرَ أَبكِيهِ أُغَنِّى
لِمَ خُنْتُهْ ؟

زهـــيـر : لَكِنَّنِى هُنَا

مـــائـسـة : زُهَيْرُ

زهـــيـر : مائسة !

(بمجرد إقترابهما تدخل العرافة وهى سمراء متخفية مع راقصات فى ملابس بدوية وتفرق بينهما)

الـعـرافـة : **نَحْنُ بناتُ العَرَبِ**

نَرْقُصُ رَقْصَ اللَّهَبِ

فى دَمِنَا أُغْنِيَةٌ

تَعْلُوُ فَوْقَ الصَّخَبِ !

الـقـــيـان : عَرَّافَةٌ مُلْتَاثَهْ

سَاحِرَةٌ بَثَّاثَهْ

فى عُقَدٍ نَفَّاثَهْ

تَصْخَبُ وَسْطَ الصَّخَبِ !

الـعـرافـة

(سـمـراء) : رَأَيْتُ فى الخَيَالْ

أَنَّ الزَّمَانَ طَالْ

فَعَادَتْ الخِيَانَهْ

لِتَخْدَعَ الأَمَانَهْ

(سمراء تفرق بين مائسة وزهير)

تَفَرَّقُوا .. تَفَرَّقُوا

الحَفْلُ فَخٌّ أَحْمَقُ !

وَلَيْسَ يَنْفَعُ الغِنَى

وَلَيْسَ يُجْدِى المَلَقُ !

(تشير إلى الوزير) الماكِرُ الحَقُودْ
يُريدُ أَنْ يَسُودْ
لَكِنَّنى عَرَفْتْ
وفى المَسَاءِ جِئْتْ
تَفَرَّقُوا .. تَفَرَّقُوا
فالحَفْلُ فَخٌّ أَحْمَقُ !

الحاكم : (فى غضب) ما هذه العَرَّافَهْ ؟
كيفَ تَقُولُ هذا ؟

(الحراس يحيطون بها وينصرف الراقصون)

الوزير : ساحرةٌ مُخَرِّفَهْ !
مولاى .. هل نَسْجُنُها ؟

الحاكم : كَلاّ
بل انصرفوا ..
معروفُ .. تَعْرِفُها ؟

معروف : الواقعُ يا مولاى -

الحاكم : (فى غضب) صَمْتاً !
هل تَعْرِفُها يا عارفْ ؟

عارف : وَجْهُهَا لَيْسَ غَرِيباً
فيه سُمْرة
فيه نُضْرةُ الحُقُولْ !

الوزير : أَخْرِجُوها مِنْ هُنَا !

الحاكم : لكننى أُريدُها ..
أُريدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْها
بَعْضَ الّذى تَعْرِفُه عَنْكُمْ !

يا أَيُّهَا الحُرَّاس آتونى بها !

(يخرج الجميع إلا زهير ومائسة)

مــائســة : هذا الذى قَالَتْهُ ـ

زهـــيـر : مَنْ أَنْتِ مائسة ! ؟

مــائســة : (**ما تزال مشتتة الذهن**) لَمْ تَكْذِبْ العَرَّافَةْ !

زهـــيـر : مَنْ أَنْتِ مائسة ؟
مَحْظِيَّةٌ ؟ ما أَكْذَبَ الأَخْبَارْ !
قَدْ كُنْتُ صَدَّقْتُ الرُّوَاة
والآنَ حِينَ انسابَ لَحْنُكِ نَاعِماً
لم يَسْتَطِيعْ قَلْبِى سِوَى الإِنْكَارْ !

مــائســة : لَمْ تَكْذِبِ العَرَّافَةْ !
فالحَفْلُ فَخّ ..

زهـــيـر : (**يضحك**) بَلْ كُلُّ ما فِى القَصْرِ فَخّ !

مــائســة : زُهَيرُ لَسْتُ أَمْزَحْ
وَلَيْسَ الفَخُّ إلا لَكْ !

زهـــيـر : مَاذَا تُرَاهُمْ يَبْتَغُون ؟

مــائســة : أَنْ أَعرِفَ مِنْكَ السِّر !

زهـــيـر : أَتُرَاهُ سِرُّ القَمْحِ ؟
(**يضحك**) سَأَقُولُه لَكْ !

مــائســة : (**منزعجة**) لا يا زُهَيرُ لا تَقُلْه !
بَلْ لا تَقُلْ شَيْئاً ..
بِحَقِّ حُبِّنَا (**فى ألم**)
بِحَقِّ ما كَانَ وَوَلَّى !

زهـــيـر : تُراكِ قَدْ نَسِيتِنى ؟
مـــائـسـة : بلْ ليسَ عِنْدى غَيْرُكْ !
زهـــيـر : هَلْ تَذْكُرِينَ إِذَنْ ؟
مـــائـسـة : وَأَنْتَ لَمْ تَنْسَ إِذَنْ !
زهـــيـر : كَيْفَ أَنْسَى
يَوْمَ طُفْنَا بَيْنَ أَبْرَاجِ الحَمَامْ
ثُمَّ أَطْلَقْنَاهُ فى الجَوِّ عَزِيزاً يَتَسَامَى
مِثْلَ أَحْلامِ صِبَانَا !
مـــائـسـة : مازِلْتُ أَذْكُرُ المَقَاطِفْ !
والفَأْسَ فِى أَيْدِى الرِّجَالِ والنِّسَاءْ
وأَذْكُرُ المَنَاجِلْ ..
وَحُمْرَةَ الأَمْوَاهِ فِى الجَدَاولْ
وأَذْكُرُ الوُرُودَ والأَعْشَابَ والشَّجَرْ
واذكر الحَجَرْ ..
ولَسْعَةَ الشَّمْسِ المَرِيرةْ
ووَقْدَةَ الظَّهِيرَةْ
وَبَهْجَةَ العَمَلْ
وَطَعْمَ حَبَّاتِ العَرَقْ !
زهـــيـر : أَمَّا أَنَا فَأَذْكُرُ الخَمِيلَةْ
وَسَاعَةَ العَصْرِ الظَّلِيلَةْ !
مـــائـسـة : خَمِيلَةُ اللَّيْمُونْ ؟
زهـــيـر : وأَذْكُرُ الجُنُونْ
فِى هَمْسَةِ العُيونْ

وَلَمْسَةِ الأَيَادِى
وَبَسْمَةِ الجُفُونْ !

مـــائســة : **(فى فرح)** وَتَذْكُرُ الحَدِيثَ عِنْدَ السَّاقِيَةْ ؟

زهـــيـر : لَيتنى أَنْسَاهُ يا مائسة !
عَاشَ فى قَلْبِى سِنِيناً
صاغَ دُنيَا مِنْ جَمَالْ !

مـــائســة : كَمْ نَسَجْنَا فى نَدَى الفَجْرِ ظِلاَلاً مِنْ ضِيَاءْ
كَمْ رَوَيْنَا حُلْمَنَا الظَّامِى بِمَاءِ الجَدْوَلِ الرَّقْرَاقْ
نَحْنُ عِشْنَاهُ يَقِيناً
لَمْ يَكُنْ وَحْىَ خَيَالْ !

زهـــيـر : كَانَ حُباً لِلسُّهُولِ .. لِلسَّمَاءِ لِلْمِيَاهْ !
كَانَ حُباً لِلْحَيَاهْ !

مـــائســة : مَازَالَ هَذَا الحُبُّ فِى فُؤَادِكَ النَّبِيلْ ؟
يَرْوِيه مِثْل النيل
إِنّى أُحِسُّ نَبْضَهُ
أُحِسُّ قُوَّتَهْ
أَنْصِتْ إِلىَّ يا زُهَيْرُ إِنى عُدْتُ إِلَيْك !
عَادَتْ إِلَينا فَرْحةُ الأَحْلام
أَقْبِلْ فَإِنَّ الرُّوحَ نَادِمَةٌ عَلَى مَا فَاتْ
أَقْبِلْ وَدَعْنَا نُشْعِلُ اللَّيْلَ بِنِيرَانِ الصُّدُور

زهـــيـر : عَجَباً .. كَأَنّى لَمْ أَكُنْ أَنَا مُنْذُ لَحْظَةْ !
هَلْ عُدْتُ طِفْلاً أَتَغَنَّى بالغَرَامْ ! ؟

مـــائســة : مازِلتَ طِفلاً يا زُهَيْر

زهـــيــر : مائسة !

حُبُّ الحيَاةِ لَمْ يَزَلْ فى أضْلُعِى

لَكِنَّ حُبِّى قَدْ مَضَى

مـــائســة : حُبِّى نَمَا عَبْرَ السِّنِين !

زهـــيــر : قَدْ ضَاعَ حُبُّكِ يَوْمَ أَنْ وَدَّعْتِنِى

بَلْ ما ذَكَرْتِ أَنْ تُوَدِّعِى

إذْ انْطَلَقْتِ ذَاتَ صُبْحٍ أَغْبَرِ الأَدِيمِ شَاحِبِ العُيُونِ

للأَمِيْر !

لَمْ يَخْتَطِفْكِ فَارِسٌ

لَمْ يَغْتَصِبْكِ حَارِسُ الأَمِيرْ !

مـــائســة : تَبْغِى انْتِقَاماً مِنْ خَطَأْ

نَدِمَتْ عَلَيْه حَبِيبَتُكْ ! ؟

زهـــيــر : هَيْهَاتَ يا مائِسَةْ !

العُمْرُ لا يَحْتَمِلْ !

فَفِى فُؤَادِى طَعْنَةٌ

والجُرْحُ لا يَنْدَمِلْ !

مـــائســة : فَلْتَسْمُ فَوْقَ الجُرْحِ يا زُهَيْر

زهـــيــر : يا لَيْتَنِى حَقاً زُهَيْر !

فاليَوْمَ تَشْغَلُنِى أُمورٌ فوقَ قَلْبِيَ الصَّغِيرْ !

اليومَ يَشْغَلُنِى البَشَرْ ..

النَّاسْ ..

مَنْ يَزْرَعُونَ لَكِ التَّرفْ !

مَنْ يَنْسِجُونَ لَكِ الحَرِيرْ !

مـــائســة : إنّى ألْفُظُ سِجْنَ المَاضِى
لا تَسْألْنى كَيْفَ حُبِسْتْ
وَلَدَىَّ الوَعْدُ الصَّادِقْ ـ
بالحُرِّيَّةْ

زهـــيــر : تُرَى إذا نَجَحْتِ فى الإيقَاعِ بِى ؟
فَعَرَفْتِ كَيْفَ تَأْكُلُ الغِرْبَانُ قَمْحَ النَّاسْ ؟
إذَنْ أقُولُ لَكْ !

مـــائســة : أرجُوكَ يا زُهَيْر .. فَلْتَنْتَظِرْ
لا آمنُ الجُدْرَانْ !
حُرِّيتى حَقاً أُرِيدْ ..
لَكِنَّنى أخْشَى عَلَيْكَ مِنْ أذَى الوَالِى
أخْشَى عَلَى الأصْحَابِ مِنْ جُنُودِه !
(ساخرة) حُرِّيتى ؟ !
أردتُها كَيْمَا أعُودَ لَكْ !
والآنَ أعْرِفُ أنَّنى أخْطَأْتُ مَرَّتين !

زهـــيــر : لا يُخْطِىءُ الإنْسَانُ إلاّ مَرَّةً واحِدَةً !

مـــائســة : لم أكُنْ أدْرِى زُهَيْرُ إذْ مَضَيْتْ
أنَّنى خُنْتُ الحَيَاةْ
واشْتَرَيْتُ المَوْت

زهـــيــر : لا تَجْزَعِى يا مائِسَةْ
فالعُمْرُ مَازَالَ طَوِيلاً

مـــائســة : ما أعْجَبَ الأمَلْ !
فى لَحْظَةٍ مِنَ الخَبَلْ

حَلُمْتُ أَنَّنِى
أَصْبَحْتُ لَكْ
حَبِيبَتَكْ
جَارِيَتَك !

زهـــــير : حُقُولُنَا لا تَعْرِفُ الجَوَارِى !
وكُلُّ مَنْ فِى الرِّيفْ ـ
مِنْ أُمَّهَاتٍ أو بَنَاتٍ ـ عَامِلاَتْ ..
أَجَلْ ! شَقِيقَاتُ كِفَاحٍ شَامِخَاتْ !

مـــائسـة : لَقَدْ قَضَى عَلَىَّ ما فَعَلْتُ أَنْ أَعِيشَ دُونَ رُوحْ !
حَبِيَسةً فى قَصْرِ ظُلْمٍ أَوْ طَرِيدَةَ الزَّمَانْ
الواقِعُ الكَئِيبُ يَسْتَذِلُّنِى
وَلَيْسَ فى المَاضِى شِفَاءُ !
حُرِّيَتِى التى طَلَبْتُها ... ضاعتْ معَ الحُبِّ القَدِيمْ
والآن لَيْسَ فى الحَيَاةِ ما يَشُدُّنى إِلَيْكَ أو إِلَيْها ..
قد اشتريتُ المَوْتَ يا زُهَيَرْ ..
وخِنْجَرِى فى جَانِبِى سَوْفَ يُطِيعْ !
إِنْ لَمْ تُكُنْ وُدِّعْتَ فى الحُقُولْ ـ
ها أَنَذَا أُوَدِّعُكْ ..

(تسحب الخنجر وفى نفس الوقت
يدخل الوزير صائحاً)

زهـــــير : **(صائحاً)** مائسة !

الـوزيــر : مَهْلاً كَفَاكِ مائسة !
هَلْ تَقْتُلِين نَفْسَكْ ؟ **(إلى الحراس)**
هَيَّا اسْحَبُوا الخِنْجَرَ مِنْها !

(يأخذ الحراس الخنجر ويحيطون بها)

هذا الذى كُنْتُ أَخَافُه !

زهـــير : مسكينةٌ يا مائسة

الـوزيـر : (**إلى مائسة**) إنْ كُنْتِ تَبْغِينَ انْطِلاقاً .. أَنْتِ حُرَّةْ !

زهـــير : حُرِّيةُ الإنْسانِ كَيْفَ تُوهَبْ

والمَرْءُ بالمَوْلِدِ حُرّ ؟

حُرِّيةُ الإنْسَانِ فى يَدِهْ

لَكِنَّهُ يَخْتَارُ أَنْ يَبِيعَ نَفْسَهُ

... يَرْهَنُهَا

بالمالِ بالسُّلْطَةِ بالمَنْصِبْ !

الـوزيـر : لكنى أُريدُ أَنْ تَكُون ـ

زهـــير : (**مقاطعاً**) حتى تُعاوِدَ المُحَاوَلَةْ ؟

دَعْنِى أَبُوحُ لَكْ ..

مـائسة : (**تصرخ**) باللّه لا تَفْعَلْ زُهَيْر !

زهـــير : آن الأوانُ مَائِسَةْ !

لابُدَّ أَنْ أُفْضِى بِسِرِّ القَمْحْ !

غِرْبَانُ هَذا العَصْرِ يا وَزيرُ هُمْ أعوانُكَ الكِبَارْ !

أَعْوانُ وَالِينَا المَهِيبْ

ضُبَّاطُهُ وعَسَاكِرُه !

كُلٌّ يَنَالُ حِصَّةً ثُمَّ يُوَلِّى ..

يَقُولُ نَفْسِى أَوّلاً

وَدَوْلَةُ الحَرِيمِ والخَدَمْ !

هَلْ دُونَ قَمْحٍ يَخْدُمُ الجُنُودْ

وَيَنْصُرونَ دَوْلَةَ السُّلْطَانْ ؟

الــوزيــر : أُحْبُولَةٌ جديدةٌ يا أيُّها الفَلاَّحْ !
القَمْحُ يَكْفى كُلَّ عَامٍ لِلْمَوالى وَيَزِيدْ
بَلْ إِنَّهُ يَكْفِى لِدَفْعِ المِنْحَةِ الجَزْلَةْ !

زهـــيـر : أَلَمْ تَكُنْ تُرِيدُ سِرَّ القَمْحْ ؟
أَلَمْ تَكُنْ مائسةٌ فَخَّ زُهَيْرٍ ! ؟

(يدخل الحاكم مع العرافة وعارف ومعروف)

الحاكـم : يا أيُّها الوَزِيرْ !
انْكَشَفَتْ حَقِيقَتُكْ !
أَخْفَيْتَ عَنِّى مَوْعِدَ المِنْحَةْ
كَىْ يُوقِعَ السُّلْطَانُ بِى
الموعِدُ الأولُ فَاتَ من شُهُورْ
والموعِدُ الجديدُ من أُسْبُوعْ !
إنْ كُنْتَ خِلْتَ أنه لَنْ يَنْتَظِرْ
وَسَوْفَ يَخْلَعُنِى
فَأَنْتَ مُخْطِىءْ
بَلْ أَنْتَ شَرُّ مَنْ تَقَلَّدَ الوَزَارَةْ
نَصَبْتَ فَخًّا لِزُهَيْرٍ
وجِئْتَهُ بِمائِسةْ
فَإِذْ بِهِ يَفْضَحُكَا !
والحَقُّ أَنَّنى مَدِينْ
لِهَذِهِ العَرَّافَةِ التى أَمَاطَتْ اللِّثَامْ
والآنَ أيُّها الجُنُودُ نَفِّذُوا الأَحْكَامْ

(يتحرك الجنود كأنما كانوا على علم مسبق)

إنّى عَزَلْتُ ذَلِكَ الوَزِيرْ
وَلَمْ أُعَيِّنْ غَيْرَهْ !

الـوزيـر : مَوْلاَىَ هَذِهِ مَكِيدة
عَسَاكِرِى هُمْ عَسْكَرُكْ
بَلْ إنْ كُلَّ تُهْمَةٍ تَعُودُ فى الوَاقِعِ لَكْ !

الحاكم : خَسِئْتَ أيُّهَا الحَقِيرْ
فَلْيُحْبَسْ الوَزِير
حَتَّى أبُتَّ فِى حَبَائِلِه !

(يحيط الحراس بالوزير)

معروف : عَقْلُكَ الرَّاجِحُ وَقْتَ الأَزْمَةْ
سَلْسَبِيلٌ مِنْ فُرَاتِ الحِكْمَةْ

الحاكم : صَمْتاً !

عارف : لَكِنَّنى أشُكُّ أنَّ هَذِه العَرَّافَة
لَيْسَتْ سوى فَلاَّحَةْ
وَأنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ الفَلاَّحْ
(يتردد) شَيْئاً ما !

الحاكم : فَلْنَبْحَثْ الأُمُورَ كُلَّهَا غَداً
وَلْنَقْضِ فِيمَنْ أرْسَلَ الرِّسَالَةَ السِّرِّيَّةْ
يُفْشِى إلى السُّلْطَانِ أمْرَ المِنْحَةْ !
أمَّا زُهَيْرُ والفَتَاةُ مائسة
فَلْيَمْكُثَا هنا ..
حتى الصَّباحْ !

إظلام

المشهد التاسع

الــــراوى : تَعَقَّدَتْ خُيُوطُ قِصَّتِى
وَلَمْ يَعُدْ لَدَىَّ ما أُضِيفُهُ
إذْ أَنَّ تَارِيخَ العُصُورِ السَّالِفَةْ
لا يَذْكُرُ الفَلاَّحَ إلاّ دُونَ إِسْمْ
بَلْ إنَّ تَارِيخَ المَجَاعَاتِ الطَّوِيلْ
يُغْفِلُ ذِكْرَ الحَادِثَةْ !

صوت ١ : لَكِنْ أَلَمْ تَحْدُثْ مَجَاعَةْ ؟

صوت ٢ : لَكِنَّنَا نُرِيدُ أَنْ نَعْرِفْ !

الــــراوى : هَيَّا إِذَنْ لِنَحْضُرَ المُوَاجَهَةْ !
سَيَعْلَمُونَ أَنَّنَا
لا نَنْتَمِى لِعَصْرِهِمْ
وَسَوْفَ يَغْضِبُون
لكنَّهُ لابُدَّ مِنْ مُحَاوَلَة !

(يعود الضوء على الحاكم وعارف والعرافة)

الحاكــم : بالأَمْسِ قُلْتَ عَارِفُ
شَيْئاً يَخُصُّ هذه العَرَّافَةْ

عــــارف : مولاى إِنِّى خَبِيرْ
وعَيْنِىَ التى تُطِلُّ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ شَىْء
قَدْ أَبْصَرَتْ كُلَّ الذى تُخْفِيه

رَأَيْتُ أَنَّهَا تُرَكِّزُ النَّظَرْ
عَلَى زُهَيْر
وَأَنَّها تَحُولُ دُونَ أَنْ يَنَالَ مَائِسَهْ !
لاَحَظْتُ أَيْضاً أَنَّهَا صَغِيرهْ
وَكُلُّ عَرَّافَاتِنَا كَبِيرةْ !

الحاكم : كفى كفى .. ماذا تقولُ الماكرة ؟

العرافة : أقولُ إنَّنى أَنَا السَّمْراء
فلاحةُ الأَرْضِ العَرِيقَةْ
بِعَقْلِهَا وقَلْبِها
وإنَّنى أَهْوى زُهَيْراً ـ

(تنزع القناع)

الحاكم : (غاضباً) هذا كثير .. أَيُّها الحُرَّاسْ !

العرافة : إذَا قَتَلْتَنِى ـ
حَلَّتْ عَلَيْكَ لَعْنَتِى !

(يدخل الراوى وصاحباه)

الراوى : هذا صحيحٌ سيدى !

الحاكم : (فى دهشة) من أَنْتَ .. قُلْ !

الراوى : إنّى مُؤَرِّخٌ فَقِيرٌ يَرْصُدُ الأَحْدَاثْ !

الحاكم : وهذه المَلاَبِسْ ؟ وهَيْئَتُك ؟ وصَاحِبَاكْ ؟

الراوى : مَوْلاَىَ إنَّنَا نَزُورُكُمْ
مِنْ بَعْدِ إذْنِكُمْ
كَىْ نَعْرِفَ الحقيقة !

الحاكم : مِنْ أَىِّ عَصْرٍ جِئْتُمُو ؟

الراوى : وَهَلْ يُهِمُّ الآنْ ؟

الحاكم : لَكِنْ .. لماذا لَا يُهِمّ ؟

الـــراوى : لأن تاريخَ البَشَرْ
لا يَعْرِفُ الحُدودْ
أمّا الذى يَصْنَعُهُ
فهُو الذى يَظَلُّ باقِياً !
الحاكـم : أنا أصْنَعُ التَّاريخْ !
الـــراوى : لا .. بل هؤلاء !

(يدخل الفلاحون – ومعهم مقرور وطابوق – وزهير ومالسة والوزير– فى تشكيلات)

الحاكـم : مَنْ هؤلاء ؟
الـــراوى : مَتَى سَتَنْزِعُ الغِمَامَهْ
وتُبْصِرُ الدُّنْيَا ؟

(يدخل الحاجب)

الحاجب : رسولُ مولانا السلطان !

(يدخل الرسول)

الرسـول : لقد قَضَى السُّلْطان
وأصْدَرَ الفَرَمَانْ
بِخَلْعِ وَالِى مِصْر ..
وهكذا يا أيُّها المَخْلُوعْ
لَيْسَ لَدَيْكَ أمْر
وَلاَ عَلَيْهِمْ طَاعَةْ

(همهمة شديدة)

وعِنْدَمَا يَنْتَصِفُ النَّهَارْ
يَكُونُ بَيْنَكُمْ

الحاكمُ الجَدِيدْ !

العرافة

(سمراء) : نُبُوءَتى تَحَقَّقَتْ !
هذا هو الرَّسُولْ !
أنَا الذى أرْسَلْتُ لِلسُّلْطان !

(يخرج الرسول)

زهير : بَلْ الوَزِيرُ قَبْلَنَا !
الوزير : ماذا ؟ أتُهْمَةٌ جديدةٌ مُلَفَّقَةْ ؟
زهير : مَازِلْتَ تَخْشَى الحَاكِمَ المَخْلُوعْ ؟
لقد خَسِرْتَ كُلَّ شَىْءٍ يا وَزِيرْ !
وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ ما تَخَافْ !

الوزير : يا أيُّها الفَلاَّحُ صَمْتاً !
زهير : أرْجُوكَ لاَ تَضِقْ بِمَا أقُول
فَأَنْتَ مِثْلُنَا
أوْ كُنْتَ مِثْلَنَا
مِنْ قَبْلِ أحْلاَمِ المَعَالِى !
الآنَ ضَاعَ حُلْمُكْ
وَضَاعَ فى التَّارِيخِ إسْمُكْ !

سمراء : **(ساخرة)** حَقاً ما اسمُكَ يَا .. مَوْلاَىْ ؟
الوزير : إسْمِى أغْفَلَهُ الرَّاوِى
كَىْ يُسْقِطَنِى مِنْ كُتُبِهْ !
عارف : أنَا أعْرِفُ كُلَّ الأسْمَاء
أنَا أعْرِفُ كُلَّ الأشْيَاء

الوزيـر : قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ ذاتَ يَوْمْ
لَكِنَّ صَفْحَتِي انْطَوَتْ وَغَامَ كُلُّ شَيْءْ ..
لَرُبَّما وَجَدْتُ حُرِّيَّتِي
بَعْدَ زَوَالِ الشِّدَّةْ !

(يخرج)

الحاكـم : أَنَا أَعْرِفُ سِرَّ اللُّعْبَهْ ..

الـراوى : رَاحَ زَمَانُ السَّطْوَهْ
والمَنْعَةِ والقُوَّهْ !

الحاكـم : أَنَا أَعْرِفُ كُلَّ الأَسْرَارْ
وَأَنَا رَغْمَ الغُصَّهْ
أَمْضِي دُونَ نَدَمْ
فَأَنَا أَخْلَصْتُ لِحُلْمِي .. !

(يقترب من زهير)

قَدْ كَانَ بِوُسْعِي أَنْ أَسْحَقَ هذا الفَلاَّحَ وَهَذا ..
.. بل هذا .. هذا ..

(يدخل حارسان)

آنَ أَوَانُ الأَسْفَارْ
وَسَأَمْضِي دُونَ نَدَمْ

(يخرج مع الحارسين)

زهـيـر : والآنَ يا رِجالْ ..

سـمـراء : **(فى سعادة)** لَبَّيْكَ يا زُهير !

زهـيـر : أَقُولُ يا رِجَالْ **(يضحك)**

سـمـراء : **(تقترب منه)** أنا مِنَ الرِّجالْ !

زهـيـر : هَيَّا إِذَنْ

(يحيطها بذراعه فى رفق)

مـائسـة : يا زَمَنَ ضَيَاعِ الأَحْلاَمِ تَرَفَّقْ !
فى القَلْبِ مِنَ الدُّنيا حُزْنٌ لا كالأَحْزَانْ
يَعْبُرُ فِيهِ المَاضِى كَسَحَابِ الصَّيْفْ
وَيُوَلِّى دُونَ مَطَرْ !
قَدْ كُنْتُ خَدَعْتُ النفسَ بِبَرْقِ الوَهْمْ
وَسَمِعْتُ دَبِيبَ الحُلْمْ
فى لَيْلِ الوَحْشَةِ والهَمّ !
ما أَقْسَى هَمَسَاتِ الظَّنّ
ما أَعْجَبَ قَلْبَ المَحْرُومْ
إِذْ يَرِدُ سَرَابَ اللَّيْلِ فَيَنْهَلَ مِنْهُ العَلْقَمْ
وَبِدُنْيا اللَّيْلِ يُتَمْتِمْ :
يا ضَيْعَةَ ما فَاتْ ..

زهـيـر : لا ضَيْعَةَ يا مائسةُ ودُنْيَانَا هَمْسُ أَمَلْ !

مـائسـة : كَفَاكَ يا زُهَيْر
لا تَنْكَأْ الجُرْحَ القَدِيم
إِنِّى طَوَيْتُ صَفْحَةَ الآلامْ !
والآنَ لا أُبْصِرُ إلاَّ قَرْيَتِى
فى مَشْرِقِ الشَّمْسِ تُنَادِى
عُودِى إِلىَّ يا طَرِيدَةَ الزَّمَانْ
عُودِى إلى الرُّبَى
فَفِى الحُقُولِ مَرْتَعٌ لِكُلِّ قَلْب !

سـمـراء : الأرض أُمٌّ رَؤُومْ

والصَّدْرُ مِنْها رَحِيمْ

مـــائســـة : لا تَتْرُكِى زُهَيْراً يا صَغِيرَتِى
فَهْو يُحِبُّكْ
أمّا أنا فَحُبِّىَ الجَدِيدُ يَرْتَوِى مِنْ قَلْبِىَ القَدِيمْ
الأَرْضُ والنَّاسُ .. كُلُّ النَّاسِ .. هُمْ حُبِّى الجَدِيدْ !

مـــقـــرور : وَكُلُّنَا نَهْوَاكِ يَامَائِسةْ ..

طـــابونى : وَنَحْتَفِى بِمَقْدَمِكْ

مـــقـــرور : غَداً تُغَنِّينَ لَنَا . فَنُكْرِمُكْ !

طـــابونى : فَطَائِرِى مَعْجُونَةٌ بالقِشْدَةْ !

مـــائســـة : (فى ألم) كَيْفَ تَرَكْتُ هَذِهِ السَّوَاعِدَ الأَمِينَةْ
كيفَ تَرَكْتُ الأَرْضَ والحُقولَ والمِياهْ
كَيْفَ تَرَكْتُ النَّاسَ .. خُنْتُ نَفْسى !
إنْ كُنْتُ قَدْ كَفَّرْتُ فِى هَذَا المَكَانْ
عَنِ الخَطِيئَةِ الصَّغِيرَةْ
وَسُمْتُ نَفْسى الذُّلَّ والهَوَانْ
فَإِنَّنى أَشْتَاقُ أَنْ أَمْحُو خَطِيئَةَ الضَّمِيرْ
وَأَشْتَرِى حُرِّيَتِى بالعَمَلْ !

(تخرج مسرعة)

الـــراوى : لابُدَّ هُنَا أَنْ أَتَدَخَّلْ
فالحاكِمُ يُوشِكُ أَنْ يَدْخُلْ

صوت ١ : هَلْ وَصَلَ المَوْكِبْ ؟

صوت ٢ : خَبِّرْنَا عَنْه !

الـــراوى : الحاكِمُ يَتْبَعُه مَعْرُوفْ

وَيَصُوغُ لَهُ بَعْضَ مَدَائِحْ !

عـــارف : مَعْرُوفٌ مَازَالَ هُنَا ؟

الـــراوى : مَعْرُوفٌ هَذَا صَاحِبُ كُلِّ الحُكَّامْ
وَلَسَوْفَ يَظَلُّ بِمَنْصِبِهِ
يَنْعَقُ فِى سَمْعِ الأَيَّامْ

عـــارف : وَأَنَا ..
هَلْ أَبْقَى يا راوى الأزمان ؟

الـــراوى : أَنْ تَبْقَى أَوْلاَ تَبْقَى
أَمْرٌ تَافِهْ
لا يَعْرِفُه إلاَّ السُّلْطَانْ !

صوت ١ : أَمَّا الَّذى يُهِمُّ يا صِحَابْ
فَإِنَّهُ العَوْدَةُ لِلْحُقُولْ

صوت ٢ : لِأَنَّنَا لا نَعْرِفُ الَّذى سَيَفْعَلُه
الحَاكِمُ الجَدِيدْ !

الـــراوى : لَكِنِّى أَعْرِفْ ..

صوت ١ : كَيْفَ يا راوى الزمان ؟

صوت ٢ : مَتَى عَرَفْتَهُ ؟ مَتَى رَأَيْتَهُ ؟

الـــراوى : رَأَيْتُه حِينَ تَجَمَّعَ الرِّجَالْ
وَقَرَّرُوا دُونَ تَرَدُّدْ
أَلاَّ يَجُوعَ النَّاسُ هذا العام !
رَأَيتُه حينَ الْتَقَتْ أيدِى النِّسَاءِ والأَطْفَالْ
تَصُوغُ أُنْشُودَةَ إخْلاصٍ جَدِيدَةْ
رأيتُه حين ضُمَّتْ شَفَتَا الأَرْض

فلم تَبُحْ ولم تَهِنْ ولم تُذَلّ !
الحاكمُ الجديدُ يا رجَالْ .. هو أَنْتُمْ !
هيا بنا سمراء للحُقُول ..
هيا بنا وَرَاءَ مائسة !

مــقــرور : هذه رَأْسى وقد كَادَتْ تَطِير !

طــابونى : باركَ اللّهُ الفَطِير !

عـــارف : ولِمَنْ أَتَجَسَّسُ يا سَادَةَ ؟

الـــراوى : مِنْ بَعْدِ أَنْ هَرَبَ الوَزِير ! ؟

صوت ١ : لم يَعُدْ فى مَسْمَعِ اللَّيلِ كَلاَمْ

صوت ٢ : بَلْ لَمْ يَعَدْ فى مَسْمَعِى أَنْغَام !

(صوت معروف من خارج المسرح)

مـعـروف : يا غَزَالاً يَتَهَادَى فى الصَّباحْ
زَانَهُ فى مَفْرِق الشَّعْر وشَاحْ
يا رَشِيقَ القَدِّ والسِّحْرُ مُبَاحْ
إنْ يَكُنْ فى مَبْسِمِ الحاكمِ لاحْ

(يدخل الحاكم وخلفه معروف)
(الحاكم بالغ الضخامة)

الـــراوى : وَهَكذا تَرَوْنْ ..
لاَ بُدَّ أَنْ نَمْضِى !

(يقترب عارف من الحاكم ويقبل يده بينما تهبط الستار رويداً رويداً)

ستار

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٣٣٧٥

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٣٣١ - ×